من الروضة الندية في الأحاديث القدسيَّة

شارك في إعداد هذا الكتاب

أولًا: لجنة السنة والسيرة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

رئيس اللجنة: أ.د/ أحمد عمر هاشم

السادة الأعضاء:

١) أ.د/ مصطفى محمد السيد أبو عمارة
٢) أ.د/ أحمد معبد عبد الكريم
٣) أ.د/ جاد الرب أمين عبد الحميد
٤) أ.د/ عبد المقصود باشا (رحمه الله)

ثانيًا: باحثو الإدارة المركزية للسيرة والسنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

١) د/ أيمن إبراهيم أحمد طاجن
٢) د/ محمد عبد الباقي محمد
٣) د/ سامح إبراهيم إسماعيل
٤) أ/ أبو مسلم عبد العزيز أبو العطا
٥) أ/ إسماعيل رجب أحمد
٦) أ/ خالد محمد خميس
٧) أ/ أيمن السيد عبد الفتاح
٨) د/ نبوية أحمد عبد الحافظ
٩) د/ عبير سمير سعد
١٠) د/ مها سمير محمد مصباح

تقديم

أ. د. محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف

رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

وعضو مجمع البحوث الإسلامية

١٤٤٤ هـ / ٢٠٢٢ م

الهيئة المصرية العامة للكتاب

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة

د. هيثم الحاج علي

من الروضة الندية في الأحاديث القدسيَّة

تقديم

د. محمد مختار جمعة

الطبعة الأولى

للهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٢٢.

ص.ب ٢٣٥ رمسيس
١١٩٤ كورنيش النيل ـ رملة بولاق القاهرة
الرمز البريدي: ١١٧٩٤
تليفون: ٢٥٧٧٧٥١٠٩ (٢٠٢) داخلي ١٤٩
فاكس: ٢٥٧٦٤٢٧٦ (٢٠٢)

الطباعة والتنفيذ
مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن توجه الهيئة، بل تعبر عن رأي المؤلف وتوجهه في المقام الأول.

حقوق الطبع والنشر محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب.
يحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأية صورة إلا بإذن كتابي من الهيئة المصرية العامة للكتاب، أو بالإشارة إلى المصدر.

﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾

[هود: ٨٨]

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــم

الحمـد لله رب العالمين، والصلاة والسـلام عـلى خاتم أنبيائه ورسـله سـيدنا محمـد بن عبد الله، وعـلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين.

وبعـــد،،،

فـإني لأحمـد الله العـلي العظيـم أن وفَّـق السـادة العلـماء المُحَدِّثـين مـن أعـلام لجنة السـنة والسـيرة بالمجلـس الأعلى للشئون الإسلامية التي تضم قامات علمية كبيرة في الحديث وعلومه لإخراج هذا العمل العظيم.

وقد بذل أعضاء هذه اللجنة ومساعدوهم من الباحثين بالإدارة المركزية للسـيرة والسـنة بالمجلس الأعلى للشـئون الإسـلامية جهـودًا كبـيرة وعظيمة في جمـع وتخريج وشرح ومراجعـة هـذه المختـارات مـن كتـاب الروضـة الندية في

شرح الأحاديث القدسية التي تم جمعها من الكتب الستة، وتخريجها تخريجًا علميًّا دقيقًا، وشرحها شرحًا وافيًّا وميسرًا معًا، مما يجعلها زادًا للعالم والباحث والمثقف وطلاب العلم على حدٍّ سواء، كلٌّ يجد فيها بفضل الله وكرمه طِلبته ومُبتغاه.

ويسعدنا في هذا الإصدار المتميز من سلسلة «رؤية» للفكر المستنير أن نقدم هذه النخبة الممتازة من الأحاديث القدسية التي لطالما سهرت عليها اللجنة العلمية الموقرة ومساعدوها، اختيارًا وتخريجًا وشرحًا وتدقيقًا ؛ سائلًا الله ﷻ أن يجزي كل من أسهم في ذلك بجهد أو رأي خير الجزاء، وأن يجعله في ميزان حسناتنا وحسناتهم جميعًا.

والله من وراء القصد وهو المُوَفِّق والمستعان،،،

أ.د. محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
عضو مجمع البحوث الإسلامية

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين حمدًا نستبقي به نعمته علينا، ونستدفع بـه نقمته منا، ونصلي ونسـلم على سـيدنا محمد صلاة وسـلامًا ينتظم في سلكهما الشريف آله الأبرار وصحبه الأخيار ﷺ.

أما بعد:

فـإن الأحاديـث القدسـية إحـدى ثمـرات الوحـي إلى رسول الله ﷺ، ومعلوم أن الوحي نوعان: وحي متلو، وهو القـرآن الكريم. ووحي غـير متلو، وهـو الحديث القدسي، والحديث النبوي.

والحديث القدسي نسـبة إلى القدس، وهي تعني الطهارة والتنزيه، ويطلق عليه أيضًا الحديث الإلهي نسبة إلى الله ﷻ، ويسمى أيضًا الحديث الربَّاني نسبة إلى الرَّبِّ جلّ في علاه.

ولقـد عـرّف العلـماء الحديث القـدسي بتعاريف شـتَّى وبألفـاظ مختلفة ولكـن المآل واحـد، فمثلًا قالـوا: الحديث القـدسي مـا أضافه النبـي ﷺ إلى ربه، وأسـنده إليه من غير

القـرآن. ومنهم من قـال: ما أضيف إلى النبـي ﷺ حاكيًا له عن ربِّه، بأن أسند القول فيه إلى الله تعالى.

وسـادتنا العلـماء رحمهم الله حـين يَـروُون الحديـث القـدسي يسـتعملون صيغًا متعددةً تشـعر بهذا النوع من الأحاديث، فتارة يقولون:

- قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن رِّبه ﷻ.

- وبعضهم يقول: قال رسول الله ﷺ فيما يحكيه عن ربِّه ﷻ.

والبعـض يقـول: (ورد في الحديث القـدسي) دون ذكر للرواية، أو الحكاية.

ولكـن بإمعـان النظـر نـرى فارقًا بـين مصطلحـي الرواية والحكايـة؛ فإن صرَّحوا بلفظ الرواية كان مرادهم أن النبي ﷺ بلَّغنا هذا الحديث بلفظه والذي نزل به من عند الله ﷻ كما نزل لفظ القرآن، وهذا معنى كونه حديثًا قدسيًّا. فمثلًا قال الله ﷻ: يـا عبـادي إني حرمت الظلم عـلى نفـسي..[1] الحديث. ويقول الصحابي مثلًا: قال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربِّه ﷻ.

(١) جزء من حديث طويل أخرجه مسـلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم ٢٥٧٧.

وإن صرحوا بلفظ الحكاية كان مرادهم أن الحديث نزل بلفظ من عند الله ﷻ، وأن النبيَّ ﷺ سُمِح له أن يحكيها بلفظ من عنده. وقد يأتي في سياق نص نبويٍّ، كقول الرسول ﷺ: ضمن الله لمن خرج في سبيله لا يخرجه إلَّا إيمانًا بي، وتصديقًا برسلي، وجهادًا في سبيلي أن أدخله الجنة[1].

أنواع الحديث القدسي:

من خلال ما سبق يتبين لنا أن الحديث القدسي يتنوع نوعين:

النوع الأول: حديث لفظه ومعناه من عند الله ﷻ، والرسول ﷺ يبلغنا إياه دون تصرف فيه.

والنوع الثاني: حديث منسوب إلى الله ﷻ باعتبار إنشائه ومصدره، وأنه جل في علاه تكلم به أولًا، ثم أخبرنا به النبي ﷺ بلفظ من عنده، ويظل مع هذا في عداد الحديث القدسي.

فالحديث القدسي نازل بمعناه ولفظه، ثم قد يبقى اللفظ السماوي، أو يحكيه النبيّ ﷺ بلفظ جديد من عنده إذا كان مسموحًا له بذلك، كما سبق.

(١) انظر: صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب فضل الجهاد والخروج في سبيل الله، حديث رقم ١٨٧٦، ومسند أحمد، حديث رقم ٩١٨٧.

ومـن هنا فيسـمّى حديثًا؛ لأنه من قـول النبي ﷺ، وقد تحـدث به، ومـن حكايته له عن ربه. ويسـمى قدسـيًّا؛ لأنه أسـنده إلى الله ﷻ باعتبـار أنـه المتكلم به، والمنشـئ له، وهو المنزه عن كل ما يلحق به.

يقـول ابن حجـر الهيتمي (ت ٩٧٤هـ) في كتابه (الفتح المبين): اعلم أن الكلام المضاف إليه تعالى ثلاثة أقسام:

أولهـا: وهو أشرفها القـرآن؛ لتميزه عـن البقية بإعجازه مـن أوجه، وكونه معجـزة باقية على مرَّ الدَّهـر، محفوظة من التغيـر والتبديـل، ويحرم مَسَّـه للمحْـدِث، وتلاوتـه لنحو الجُنب، وروايته بالمعنى، وبتعينه في الصلاة، وبتسميته قرآنًا، وبأن كل حرف منه بعشر حسنات، وبتسمية الجملة منه آية، وسورة. والأحاديث القدسية لا يثبت لها شيء من ذلك.

ثانيها: كتب الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ثالثها: بقية الأحاديث القدسية، وهي ما نقل إلينا آحادًا عنـه ﷺ مـع إسـناده إليها عـن ربه، فهـي من كلامـه تعالى فتضاف إليه وهو الأغلب. ونسـبتها إليه حينئذ نسـبة إنشاء لأنـه المتكلـم أولًا، وقد تضاف إلى النبـي ﷺ لأنه المخبر بها عن الله تعالى.

قال: ولا تنحصر تلك الأحاديث القدسية في كيفية من كيفيات الوحي، بل يجوز أن تنزل بأي كيفية من كيفياته كالإلقاء في الروع، وعلى لسان الملَك. ولراويها صيغتان: إحداهما أن يقول: قال رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه. وهي عبارة السلف. وثانيتهما: أن يقول: قال الله تعالى فيما رواه عنه رسول الله ﷺ. والمعنى واحد[1].

الفرق بين الحديث القدسي والقرآن الكريم:

سبق لك كلام ابن حجر الهيتمي، ونزيد لك الأمر وضوحًا، فقد ذكر العلماء فروقًا بين الحديث القدسي والقرآن نجليها لك في الآتي:

١ - أن القرآن ما كان لفظه ومعناه من عند الله ﷻ بوحي جَليّ، لم تنزل منه آية واحدة على النبي ﷺ إلَّا حال اليقظة.

أما الحديث القدسي فقد ينزل يقظة أحيانًا، أو بالإلهام، أو النَّفث في الرُّوع.

٢ - القرآن معجزة باقية على مرِّ الدُّهور والعصور، محفوظ من التغيير والتبديل، وهو متواتر اللفظ في كلماته وحروفه

(١) الفتح المبين بشرح الأربعين، ص ٢٠١، باختصار.

وأسلوبه، وهو مُتحدَّى به. بخلاف الحديث القدسي، فليس فيه وجه للإعجاز من حيث الأسلوب، ولا وجه فيه للتحدّي.

٣ - القرآن نزل للتشريع وللتعبد بتلاوته في الصلاة وغيرها، بخلاف الحديث القدسي قد يكون فيه جانب تشريعيٍّ، ولا يجوز قراءته في الصلاة.

٤ - يحرم رواية القرآن بالمعنى، وليس كذلك الحديث القدسي، والسر في عدم جواز التعبير بالمعنى في القرآن أن المقصود منه التعبد بلفظه والإعجاز به، فلا يقدر أحد أن يأتي بلفظ يقوم مقامه، وإنَّ تحت كل حرف منه معاني لا يحاط بها كثرة، بخلاف الحديث القدسي والسنة؛ لحصول الحرج.

٥ - تسمية الجملة من القرآن الكريم آية، وتسمية مقدار مخصوص من الآيات سورة، وليس الحديث القدسي كذلك.

٦ - يحرم على الجُنب تلاوة القرآن، والحديث القدسي ليس كذلك.

إشكال والجواب عنه:

قلنا سابقًا بأن القرآن الكريم لا يكون إلَّا بوحي جَليّ، بأن ينزل به جبريل عليه السلام على النبيّ ﷺ يقظة، فلا شيء من القرآن يوحى إليه بإلهام أو منام.

لكن ورد في صحيح مسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: أُنزِل عليَّ آنفًا سورة، فقرأ بسم الله الرحمن الرحيم سورة الكوثر[1].

والجواب عن هذا: أن الإغفاءة الواردة في الحديث ليست منامًا، بل هي الحالة التي كانت تعتري رسول الله ﷺ عند نزول الوحي عليه، وهي شدة تلمّ به لا يرى الجالس معه سوى مظاهر ذلك عليه، من ثقل جسم، وتصبب عرق، وشبه إغفاءة ونحو ذلك. وكما سبق فإن الحديث القدسي لا مانع أن يكون بوحي جليّ أو وحي خفيّ.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب حجة من قال: البسملة آية من كل سورة سوى براءة، حديث رقم ٤٠٠.

الفرق بين الحديث القدسي والحديث النبوي:

سبق بيان أن الحديث القدسي أحيانًا يكون لفظه ومعناه من عند الله ﷻ، مثل: «يا عبادي إني حرمت الظلم..»، وأحيانًا يكون اللفظ من عند رسول الله ﷺ والمعنى من عند الله تعالى.

وقد ظن بعض الباحثين أن الحديث القدسي الذي وصلنا وأخذنا به، جميعه لفظًا ومعنًى من عند الله تعالى، والحقيقة أن الأمر خلاف ذلك كما سبق.

أما الحديث النبوي فلفظه من عند الرسول ﷺ، أما معناه فتارة يكون بوحي جليٍّ بأن ينزل به جبريل عليه السلام على النبي ﷺ يقظة، مثل ما رواه البخاري في صحيحه من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: أتاني الليلة آتٍ من ربي فقال: «صلِّ في هذا الوادي المبارك وقل: عمرة في حجة»[1]. وذهب ابن الملقن في كتابه (التوضيح لشرح الجامع الصحيح)[2] إلى أن هذا الحديث من قبيل الوحي غير الجليِّ.

(١) صحيح البخاري، كتاب الحج، باب قول النبي ﷺ: «العقيق واد مبارك»، حديث رقم ١٥٣٤.
(٢) انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح ١١/ ٨١ - ٨٣.

وأحيانًا يكون الحديث النبوي بوحي خفيٍّ، مثل: «إن روح القدس نفث في رُوعِي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»[1].

لجنة السنة والسيرة

بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية

(١) هذا الحديث رواه المطلب بن حنطب ضمن حديث طويل أوله «ما تركت شيئًا مما أمركم الله به إلا أمرتكم به...» أخرجه الشافعي في مسنده ١/ ٢٣٣، والبيهقي في شعب الإيمان برقم ١١٨٥، ٢/ ٦٧. وراجع الرسالة للشافعي مسألة ٣٠٦ ص ٩٣ - ١٠٣، وشرح السنة للبغوي حديث رقم ٤١١.

فضل «لا إله إلَّا الله»

(١) عَـنْ أَبِي سَـعِيدٍ، وَأَبِي هُرَيْـرَةَ ﷺ أَنَّهُمَا شَـهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ والله أَكْبَرُ، صَدَّقَهُ رَبُّـهُ، فَقَـالَ: لا إِلَـهَ إِلَّا أَنَا، وَأَنَـا أَكْبَرُ. وَإِذَا قَـالَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْـدَهُ قَالَ: يَقُـولُ اللهُ: لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي. وَإِذَا قَالَ: لا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَحْـدَهُ لا شَرِيـكَ لَـهُ، قَالَ اللهُ: لا إِلَـهَ إِلَّا أَنَا وَحْـدِي لا شَرِيـكَ لِي. وَإِذَا قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْـدُ، قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لِيَ الْمُلْـكُ وَلِيَ الحَمْدُ. وَإِذَا قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بالله، قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، ولا حَـوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِي. وَكَانَ يَقُـولُ: مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمْهُ النَّارُ.

أخرجـه الترمـذي في سُـننه، كتـاب الدعوات، بـاب مَا يَقُـولُ العَبْـدُ إِذَا مَـرِضَ، حديث رقم: ٣٤٣٠، وقـال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غريب.

– وعَنْهما أَنَّهُمَا شَـهِدَا عَلَى رَسُـولِ الله ﷺ قَـالَ: «إِذَا قَالَ الْعَبْـدُ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، والله أَكْبَرُ، قَـالَ: يَقُولُ اللهُ ﷻ: صَدَقَ عَبْدِي، لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَأَنَا اللهُ أَكْبَرُ. وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْـدَهُ، قَالَ: صَـدَقَ عَبْدِي، لا إِلَهَ إِلَّا أَنَـا وَحْدِي. وَإِذَا قَـالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْـدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لا إِلَـهَ إِلَّا أَنَـا ولا شَرِيكَ لِي. وَإِذَا قَالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَـهُ الْحَمْـدُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لا إِلَـهَ إِلَّا أَنَا، لِي الْمُلْكُ وَلِي الْحَمْـدُ. وَإِذَا قَـالَ: لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بالله، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إِلَّا بِي». قال أبو إسحاق – أحد الرواة: ثم قال الأغَرّ –هو شيخ أبي إسـحاق– شـيئًا لم أفهمه، قال: فقلت لأبي جعفر: ما قال؟، قال: «مَنْ رُزِقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ».

أخرجه ابن ماجه في سُننه، كتاب الأدب، باب فضل (لا إله إلَّا الله)، حديث رقم: ٣٧٩٤.

(٢) عن عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ سَـيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَـلَى رُءُوسِ الْخَلائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْـعَةً وَتِسْـعِينَ سِـجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ

مَـدِّ الْبَـصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِـرُ مِنْ هَذَا شَـيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لا يَـا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لا يَـا رَبِّ. فَيَقُـولُ: بَـلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَـنَةً، فَإِنَّـهُ لا ظُلْمَ عَلَيْـكَ الْيَـوْمَ، فَتَخْـرُجُ بِطَاقَةٌ: فِيهَـا أَشْـهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْـهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُـولُهُ، فَيَقُـولُ: احْضُـرْ وَزْنَكَ؛ فَيَقُـولُ: يَا رَبِّ مَـا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّـجِلَّاتِ؟ فَقَالَ: إِنَّكَ لا تُظْلَمُ. قَالَ: فَتُوضَعُ السِّـجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ فَطَاشَتِ السِّـجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ الله شيء».

أخرجـه الترمذي في سُـننه، كتاب الإيـمان، باب ما جاء فيمـن يمـوت وهو يشـهد أن لا إلـه إلَّا الله، حديـث رقم: ٢٦٣٩. وقال الترمذي: حسن غريب.

– وعنـد ابن ماجه بلفـظ: «يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِـنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَـةِ عَـلَى رُءُوسِ الْخَلَائِـقِ، فَيُنْـشَرُ لَـهُ تِسْـعَةٌ وَتِسْـعُونَ سِـجِلًّا، كُلُّ سِـجِلٍّ مَدَّ الْبَـصَرِ، ثُمَّ يَقُـولُ اللهُ ﷻ: هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَـيْئًا؟ فَيَقُولُ: لا يَـا رَبِّ، فَيَقُـولُ: أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُـونَ؟ ثُـمَّ يَقُـولُ: أَلَكَ عُـذْرٌ؟ أَلَـكَ حَسَـنَةٌ؟ فَيُهَابُ

الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لا. فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ... » إلخ. بنحو حديث الترمذي.

أخرجه ابن ماجه في سُننه، كتاب الزهد، باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة، حديث رقم: ٤٣٠٠.

الشرح والبيان:

في هذه الأحاديث بيان لفضل كلمة «لا إله إلَّا الله»، بمبناها ومعناها، وما تقتضيه من أثر في عمل العبد، فإن أبا هريرة وأبا سعيد الخدري ﷺ أخبرا عن رسول الله ﷺ بما قاله عن الله ﷻ، وكان كل منهما على يقين مما سمع وبما أخبر؛ ليس هناك من شك ولا توهم، بل إن الأمر في غاية التأكيد، وكذلك عَبْدَ الله بْنَ عَمْرٍو ﷺ.

ويوضح الحديث الأول شيئًا من فضل قول: «لا إله إلَّا الله والله أكبر»، فحين يقول العبد هذا الذكر يقول رب العزة ﷻ: «صدق عبدي، لا إله إلَّا أنا، وأنا الله أكبر». إنه تصديق من الله تعالى لعبده بما ذكره به وبما شهد به من الوحدانية لربه، وأنه أكبر من أي كبير لأنه خالق الخلق جميعًا.

وأنه إذا قال: «لا إله إلَّا الله وحده»، قال: «صدق عبدي لا إلـه إلَّا أنا وحدي». وفى هذا تصديق من رب العزة لعبده على شهادته له بأنه لا إله غيره ولا ربّ سواه وحده لا شريك له.

وإذا قـال العبد: «لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له»، قال الله: «صـدق عبدي، لا إلـه إلَّا أنا، ولا شريك لي». وفى هذا تصديـق من ربّ العزة لما قاله الإنسـان ولما شـهد به بأن الله هو الإله الواحد الأحد الفرد الصمد وأنه لا شريك له.

وإذا قـال العبد: «لا إله إلَّا الله له الملك وله الحمد»، قال الله: « صـدق عبـدي، لا إلـه إلَّا أنـا، لي الملـك ولي الحمد». وفي هـذا تصديق أيضًا من الله لشـهادة عبـده له بأنه الواحد الأحـد، وأن الملـك والحمـد له وحـده لا شريك لـه، وأفاد التعبـير بتقديـم قولـه: «لـه» على قولـه: «الملـك»، ولم يقل: «الملك له»، ولم يقل: «الحمد له»؛ لأن التقديم والتأخير يفيد القصر، فالملك مقصور على الله، فهو وحده صاحب الملك، وهـو وحده المالك لكل شيء، كـما يفيد قصر الحمد على الله تعـالى؛ لأنه صاحب الملـك والخلق والنعمة، فهو المسـتحق للحمد دون غيره.

وإذا قال العبد: «لا إله إلَّا الله ولا حول ولا قوة إلَّا بالله»، قال الله تعالى: «صدق عبدي، لا إله إلَّا أنا، ولا حول ولا قوة إلَّا بي». وفي هذا تصديق من رب العزة لعبده بما شهد به من وحدانية الله وأنه لا حول ولا قوة إلَّا بالله؛ لأن الله تعالى هو صاحب الخلق والتدبير وبيده كل أمر، لا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، وهو على كل شيء قدير.

وهذه الأذكار السابقة في هذا الحديث يرضى عنها رب العزة سبحانه، ويصدق الله عبده الذي يذكره بها، وثمرة هذا التصديق رضا الله تعالى عن عبده، ويعطي الله العبد على ذلك ثوابًا عظيمًا، وأجرًا كريمًا.

وكان رسول الله ﷺ يكثر من هذه الأذكار عقب كل صلاة، وكان عبد الله ابن الزبير رضي الله عنهما يقول دُبر كل صلاة حين يُسَلِّم: «لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، لا حول ولا قوة إلَّا بالله، لا إله إلَّا الله، ولا نعبدُ إلَّا إياه، له النعمة وله الفضل وله الثناء الحسن، لا إله إلَّا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون، قال ابن الزبير: وكان رسول الله ﷺ يُهلِّل بهن دُبر كل صلاة[1].

(١) صحيح مسلم (حديث رقم ٥٩٤).

وأن من رزق هذه الأذكار عند موته لم تمسسه النار، ولا يرزقهن الإنسان عند موته إلَّا إذا كان معتقدًا لما كان يقوله من هذا الذكر، ومات على ذلك، ومستمرًّا على قولها، وبذلك ينجيه الله ﷻ من النار، وليس ذلك بمجرد ترداد اللسان بذلك، بل مع الذكر باللسان الإقرار بالقلب والعمل بالجوارح.

ومما لا شك فيه أن الموت يأتي بغتة، ويحول بين الإنسان وبين ما يريد عمله في دنياه، فإن طاب عمله طابت حياته وآخرته، وإن خبث عمله أضر بدنياه وأخراه، وكل ما يعمله الإنسان في حياته يكتب إما له وإما عليه، حيث يوكل الله كتبته من الملائكة فيحفظون عليه أعماله بلا زيادة ولا نقصان.

وقد أخبر النبي ﷺ -وهو الصادق المصدوق- بأن الله ﷻ سيختار رجلًا من أمته ﷺ مميزًا فيوقف على رءوس الخلائق يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم تدنو فيه الشمس من الرءوس، وتتطلع الأبصار إلى السماء كل يرجو الانصراف، ويريد معرفة مصيره إما إلى الجنة وإما إلى النار، في هذا الموقف العصيب يقف هذا الرجل على مرأى ومسمع من الخلائق، فيأمر الله ﷻ بكتابه الذي دُوِّن فيه عمله في الدنيا فيقال له:

اقـرأ كتابك كفى بنفسـك اليـوم عليك حسـيبًا، فينظر فإذا بسـجلات كثيرة تصل في عددها إلى تسـعة وتسـعين كتابًا، كل كتاب طوله وعرضه بمقدار ما يمتد إليه بصر الإنسـان، وملك الله واسع، وقوانين الآخرة تختلف عن قوانين الدنيا، وأيضًا سجلات الآخرة لا تشبه سجلات الدنيا.

فينظر هذا الرجل في سـجلاته المنشـورة بين عينيه ويقرأ عملـه الذي سـجلته عليه الكتبـة الكرام، ثم يقـول له ربه: أتنكر من هذا المكتوب شـيئًا؟ فيقـول: لا يا رب، إن كل ما قرأته في سجلاتي الآن هو من عملي وما قدمته يداي.

ثم يسـأله ربه سـؤالًا آخرَ: هل ظلمك كتبتي الحافظون الكـرام؟ هل كتبوا عليك مـا لم تعمله؟ هل وجدت في تلك الصحائـف قولًا أو عمـلًا كتبه عليك الكـرام الكاتبون ولم يصدر عنك؟ فيعترف قائلًا: لا يا رب.

ثم يسـأله سؤالًا ثالثًا قائلًا: هل هناك عمل أقدمت عليه خطأً أو جهلًا أو نسيانًا كتبه عليك الحفظة حتى لا نحاسبك عليـه؟ وهذا معنى قوله: «ألك عذرٌ؟» أي: تظهره، فيقول: لا يا رب.

ثم يسأله سـؤالًا رابعًا: ألك حسنة؟ فيتهيب الرجل من الجواب فيقول: لا يا رب. وهنا يأتي فضل الله وإحسانه على عبده، وينشر ربنا رحمته عليه في هذا الموقف العصيب بعد أن ظن أنه مات ولم يعمل خيرًا، فيقول له ربه: بلى إن لك عندنا حسـنة عظيمة، وإنه لا ظلم عليك اليوم، فيستخرج الله ﷻ لهـذا العبـد بطاقة أو رقعـة أو ورقـة كتبت فيها الشـهادتان اللتـان قالهـما العبد في حياته، فالشـهادتان هما طـوق النجاة الآن، وقد حفظهما له الملك، فيحتمل أن تلك الشـهادة هي «أشـهد أن لا إله إلَّا الله، وأشـهد أن محمدًا عبده ورسـوله» التي دخل بها في الإسـلام ومات عليها، ويحتمل أن يراد بها من كان يكثر من تكرارها، فقبلها ربنا ﷻ منه.

وقـد وردت أحاديـث كثيرة في الترغيـب في الإكثار من كلمة التوحيد وأن لها فضلًا كبيرًا، فقد قال ﷺ: «أكثروا من شـهادة أن لا إله إلَّا الله قبل أن يحال بينكم وبينها»[1]. وعَنْ عُبَادَةَ بن الصَامتِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ شَـهِدَ أَنْ لا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيـكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُـولُهُ،

(١) مسند أبي يعلى (حديث رقم ٦١٤٧).

وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ». وفي رواية: «مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ، أَيهَا شَاءَ»[1].

ولا ينبغي أن يفهم أن كلمة التوحيد والإقرار بالرسالة كافيان بمفردهما في دخول الجنة ولو بدون عمل؛ لأن أئمة المسلمين متفقون على أن الإيمان قولٌ باللسان، وتصديقٌ بالجَنَان (أي القلب)، وعملٌ بالأركان، وآيات القرآن الكريم تقرن دائمًا الإيمان بالعمل مثل: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾[2]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا﴾[3]، وإنما ينبغي أن تفهم الأحاديث في سياقها، وما تندرج تحته من أبواب.

ومن هنا قال العلماء: إن الأعمال وفرائض الإسلام من لوازم الإقرار بالشهادتين وتتماته.

(١) صحيح البخاري (حديث رقم ٣٢٥٢).
(٢) [سورة العصر، الآيات ١-٣].
(٣) [سورة الكهف، الآية ٣٠].

وقال بعض العلماء: إن هذه الأحاديث التي تجعل دخول الجنة بالشهادتين فقط تدل على أن أهل التوحيد سيدخلون الجنة، وإن عذبوا بذنوبهم لا يخلدون في النار.

قال الإمام الترمذي: وَقَدْ رُوِيَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَأَبِي ذَرٍّ وَعِمْرَانَ ابْنِ حُصَيْنٍ وَجَابِرٍ وَأَنَسٍ وغيرهم أن رسول الله ﷺ قَالَ: «سَيَخْرُجُ قَوْمٌ مِنَ النَّارِ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ». هكذا رُوِيَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ وَالنَّخَعِيِّ وَغَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ التَّابِعِينَ.

وقد رُوي من غير وجه عن سعيد بن جبير وإبراهيم النخعي؛ وغير واحد من التابعين فِي تَفْسِيرِ قوله تعالى: ﴿رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ كَانُواْ مُسۡلِمِينَ﴾[1]، قَالُوا: إِذَا أُخْرِجَ أَهْلُ التَّوْحِيدِ مِنَ النَّارِ وَأُدْخِلُوا الْجَنَّةَ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ[2].

وقال بعض العلماء: هذه الأحاديث وأمثالها فيمن كان كافرًا فآمن وأقر بالشهادتين ثم مات ولم يذنب، أو كان مذنبًا فتاب ؛ أو من قتل في سبيل الله.

(١) [سورة الحجر، الآية ٢].
(٢) سُنن الترمذي ٥/ ٢٤.

وبعد أن يظهر الله ﷻ لعبده بطاقته التي كتبت فيها الشهادتان فيسأل العبد ربه: ما هذه البطاقة الواحدة بجانب هذه السجلات الكثيرة، وما قدرها بجانبها؟! إن العبد يستقل هذه الورقة مقابل هذه الأوراق الكثيرة، ويرى في نظره أنها لا تقدم ولا تؤخر، فيضع الله ﷻ تلك الورقة الواحدة في كفة ميزان العدل، والسجلات الكثيرة في كفة أخرى، ويطلب من عبده أن يحضر الوزن ليرى العدل فيقول له: «احضر وزنك الذي لك، أو شاهد وزن عملك، أو انظر الوقت الذي سيوزن فيه عملك ليتبين لك انتفاء الظلم وتحقق العدل، وظهور الفضل، فإنك لا تظلم.

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[1] يعني: أن الله ﷻ يحضر ميزان العبد الذي يوزن به عمله، فللعبد ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه، فمن أحاطت حسناته بسيئاته فاز ونجا، ومن كان غير ذلك ذلّ وخسر؛

(١) [سورة الأنبياء، الآية ٤٧].

والصحيح الذي عليه أئمة السلف أن الله ﷻ يضع الموازين الحقيقية، ويزن بها أعمال العباد.

وفي كيفية وزن الأعمال رأيان: إما أن توزن صحائف الأعمال فتوضع صحائف الحسنات في كفة، وصحائف السيئات في كفة، وهذا على رأي أن الأعمال أعراض لا يمكن وزنها وإنما توزن الأجسام.

وهناك رأي آخر هو أن الله ﷻ يجسّم الأفعال والأقوال، فيجعل الحسنات عبارة عن جواهر بيضاء مشرقة في كفة؛ والسيئات جواهر سوداء مظلمة، فتوزن فتثقل الطاعات وتطيش السيئات لثقل العبادة على النفس وخفة المعصية عليها.

وفي الحديث الذي معنا: «فتوضع كلمة التوحيد في كفة، والسجلات التي هي عبارة عن كتاب كبير في الكفة الأخرى، فتثقل الكفة التي فيها بطاقة التوحيد، وتخف السجلات وتطيش؛ ولا يثقل مع اسم الله ﷻ المتضمن كلمة التوحيد أي شيء، أي إنها راجحة وغالبة على كل شيء، فلا يقاومها شيء من المعاصي، بل يترجح ذكر الله على جميع المعاصي، وقد قال ﷺ: « كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى

اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ الله الْعَظِيمِ، سبحان الله وبحمده»[1].

هذا والآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية تؤكد عدل الله ﷻ، بل فضله وإحسانه، ولا تتعارض آيات الميزان وأحاديثه مع قول الله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[2]، لأن هذه الآية في حق الكفار فليس لهم أعمال توزن مع الكفر.

وفي حديث أخرجه الإمام أحمد عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «تُوضَعُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُؤْتَى بِالرَّجُلِ فَيُوضَعُ فِي كَفَّةٍ، فَيُوضَعُ مَا أُحْصِيَ عَلَيْهِ فَتَمَايَلَ بِهِ الْمِيزَانُ. قَالَ: فَيُبْعَثُ بِهِ إِلَى النَّارِ. قَالَ: فَإِذَا أُدْبَرَ بِهِ إِذَا صَائِحٌ يَصِيحُ مِنْ عِنْدِ الرَّحْمَنِ يَقُولُ: لا تَعْجَلُوا لا تَعْجَلُوا فَإِنَّهُ قَدْ بَقِيَ لَهُ. فَيُؤْتَى بِبِطَاقَةٍ فِيهَا: (لا إِلَهَ إِلَّا الله) فَتُوضَعُ مَعَ الرَّجُلِ فِي كَفَّةٍ حَتَّى يَمِيلَ بِهِ الْمِيزَانُ»[3].

(١) صحيح البخاري (حديث رقم ٦٠٤٣، ٦٣٠٤، ٧١٢٤)، وصحيح مسلم (حديث رقم ٢٦٩٤).
(٢) [سورة الكهف، الآية ١٠٥].
(٣) مسند أحمد (حديث رقم ٧٠٦٦).

وعَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ جَلَسَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله إِنَّ لِي مَمْلُوكين يُكَذِّبُونَنِي وَيَخُونُونَنِي وَيَعْصُونَنِي وَأَضْرِبُهُمْ وَأَسُبُّهُمْ، فَكَيْفَ أَنَا مِنْهُمْ؟. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «بِحَسْبِ مَا خَانُوكَ وَعَصَوْكَ وَيُكَذِّبُونَكَ وعقابك إياهم. فَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ دُونَ ذُنُوبِهِمْ كَانَ فَضْلًا لَكَ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ بِقَدْرِ ذُنُوبِهِمْ كَانَ كَفَافًا لا لَكَ ولا عَلَيْكَ، وَإِنْ كَانَ عِقَابُكَ إِيَّاهُمْ فَوْقَ ذُنُوبِهِمُ اقْتُصَّ لَهُمْ مِنْكَ الْفَضْلُ الذي بَقِيَ قِبَلَكَ». فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَبْكِي بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ وَيَهْتِفُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا لَهُ مَا يَقْرَأُ كِتَابَ الله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[1]. فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ الله مَا أَجِدُ شَيْئًا خَيْرًا مِنْ فِرَاقِ هَؤُلاءِ -يَعْنِي عَبِيدَهُ- إِنِّي أُشْهِدُكَ أَنَّهُمْ أَحْرَارٌ كُلُّهُمْ[2].

(١) [سورة الأنبياء، الآية ٤٧].
(٢) مسند أحمد (حديث رقم ٢٦٤٠١).

ومما يؤخذ من الأحاديث:

١ - فضيلة كلمة التوحيد حيث ذكرت سابقة لكل ذكر ومقرونة معه.

٢ - من قال هذه الأذكار موقنًا بها عاملًا بمقتضاها صار في معية الله ﷻ، يحفظه ربه ويرعاه.

٣ - فضيلة الصدق مع الله تعالى، وأن له أجرًا وثوابًا عظيمًا.

٤ - أن الأعمال الصالحة وفرائض الإسلام من لوازم الإقرار بالشهادتين وتتماته، وأن الذي يقر بالشهادتين خالصًا من قلبه يدخل الجنة.

٥ - ثبوت الميزان في الآخرة، وأن الذي يوزن صحائف الأعمال.

٦ - أن الكافر إذا أسلم وأقر بالشهادتين ومات بعدها فإن كلمة التوحيد تشفع له.

٧ - أن العاصي إذا تاب ثم مات يثقل ميزانه بكلمة التوحيد.

٨ - وجود حفظة كرام يكتبون على الإنسان ما قدمته يداه، دون ظلم أو جور.

الصبر على الطاعات وصالح الأعمال
طريق إلى الجنة

(٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ قَالَ لِجِبْرِيلَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أي رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا، ثُمَّ حَفَّهَا بِالْمَكَارِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أي رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ». قَالَ: «فَلَمَّا خَلَقَ اللهُ النَّارَ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أي رَبِّ وَعِزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ فَيَدْخُلُهَا، فَحَفَّهَا بِالشَّهَوَاتِ ثُمَّ قَالَ: يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَذَهَبَ فَنَظَرَ إِلَيْهَا ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: أي رَبِّ، وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لا يَبْقَى أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا».

أخرجه أبو داود في سُننه، كتاب السنة، باب في خلق الجنة والنار، حديث رقم: ٤٧٤٤.

– وفي روايـة قـالَ: «لَمَّـا خَلَـقَ اللهُ الْجَنَّـةَ وَالنَّارَ، أَرْسَـلَ جِبْرِيـلَ إِلَى الْجَنَّـةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا، وَإِلَى مَـا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَـا. قَـالَ: فَجَاءَهَـا وَنَظَـرَ إِلَيْهَـا وَإِلَى مَـا أَعَـدَّ اللهُ لأَهْلِهَا فِيهَـا قَالَ: فَرَجَـعَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَوَعِزَّتِكَ لا يَسْـمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَـا، فَأَمَرَ بِهَـا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَقَالَ: ارْجِـعْ إِلَيْهَا، فَانْظُرْ إِلَى مَـا أَعْـدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا. قَالَ: فَرَجَـعَ إِلَيْهَا، فَإِذَا هي قَدْ حُفَّـتْ بِالْمَـكَارِهِ، فَرَجَـعَ إِلَيْهِ فَقَـالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَـدْ خِفْتُ أَنْ لا يَدْخُلَهَـا أَحَدٌ، قَـالَ: اذْهَبْ إِلَى النَّارِ، فَانْظُـرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْـدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِذَا هي يَرْكَـبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ إِلَيْـهِ فَقَـالَ: وَعِزَّتِكَ لا يَسْـمَعُ بِهَا أَحَـدٌ فَيَدْخُلُهَـا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّـتْ بِالشَّـهَوَاتِ فَقَالَ: ارْجِـعْ إِلَيْهَا، فَرَجَـعَ إِلَيْهَا فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا».

أخرجـه الترمـذي في سُـننه، كتاب صفة الجنـة، باب ما جـاء حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشـهوات، حديث رقم: ٢٥٦٠. وقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

– وفي رواية قَالَ: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ إِلَى الْجَنَّةِ فَقَالَ: انْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا، فَنَظَرَ

إِلَيْهَا فَرَجَعَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لا يَسْمَعُ بِهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَقَالَ: اذْهَبْ إِلَيْهَا، فَانْظُرْ إِلَيْهَا وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا، فَنَظَرَ إِلَيْهَا فَإِذَا هي قَدْ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لا يَدْخُلَهَا أَحَدٌ، قَالَ: اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَى النَّارِ وَإِلَى مَا أَعْدَدْتُ لأَهْلِهَا فِيهَا، فَنَظَرَ إِلَيْهَا، فَإِذَا هي يَرْكَبُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَرَجَعَ فَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لا يَدْخُلُهَا أَحَدٌ، فَأَمَرَ بِهَا فَحُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ فَقَالَ: ارْجِعْ فَانْظُرْ إِلَيْهَا، فَإِذَا هي قَدْ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ فَرَجَعَ وَقَالَ: وَعِزَّتِكَ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ لا يَنْجُوَ مِنْهَا أَحَدٌ إِلاَّ دَخَلَهَا».

أخرجه النسائي في سُننه، كتاب الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله تعالى، حديث رقم: ٣٧٦٣.

الشرح والبيان:

جاءت هذه الأحاديث دالة على أن الجنة والنار موجودتان، أي: أنهما قد خلقتا وأنهما قد سبق خلقهما، وذلك أن الله ﷻ خلقهما وأوجدهما، فأعد الجنة للذين آمنوا وعملوا الصالحات وأعد النار للذين كفروا به وأشركوا معه غيره.

ومن حكمة خلقهما: الترغيب والترهيب، وأنَّ على الإنسان أنْ يسعى لتحصيل هذه الجنة التي خلقها الله، وأن يسعى إلى التخلص من النار التي خلقها الله ﷻ وأوجدها، وكل من مات قامت قيامته، وانتقل من دار العمل إلى دار الجزاء، فهو يجازى على عمله في قبره، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر، وهو إما منَعَّم وإما معَذَّب، وقد جاء في القرآن ما يدل على ذلك في قصة آل فرعون، حيث قال الله ﷻ: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ﴾[1].

وقوله: «لما خلق الله الجنة قال لجبريل: اذهب فانظر إليها» أي: نظر اعتبار (فذهب فنظر إليها وإلى ما أعدَّ الله لأهلها فيها) أي: ما أعدَّ الله لعباده الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. (ثم جاء) أي: رجع إلى موضعه أو إلى حيث ما أمر به، أو إلى تحت العرش (فقال: أي رب) أي: يا رب (وعزتك لا يسمع بها أحد) أي: لا يسمع بها أحد إلا واشتاق إليها، فالأذن

(١) [سورة غافر، الآية ٤٦].

تعشق قبل العين أحيانًا. (إلا دخلها) أي: طمع في دخولها، وجاهد في حصولها، ولا يهتم إلا بشأنها لحسنها وبهجتها.

وقوله: (حفَّها)، أي: أحاطها الله (بالمكاره) جمع مَكْرَهة وهي المشقة والشدة على غير قياس، والمراد بها التكاليف الشرعية التي هي مكروهة على النفوس الإنسانية، وهذا يدل على أن المعاني لها صور حسية في تلك المباني، (ثم قال: يا جبريل اذهب فانظر إليها) أي: ثانيًا لما تجدد من الزيادة عليها باعتبار حواليها (قال) أي النبي ﷺ في أكثر النصوص بدون «قال». (فذهب فنظر إليها) أي: ورأى ما عليها (ثم جاء فقال: أي رب وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد) أي: لما رأى حولها من الموانع التي هي العلائق والعوائق للخلائق. قال الطيبي: أي: لوجود المكاره من التكاليف الشاقة، ومخالفة النفس وكسر الشهوات.

وهذا نظير ما رواه مسلم: «حفت الجنة بالمكاره»[1]، حديث ٢٨٢٢، وهذا من الكلام البليغ الذي انتهى نهايته. وذلك أنه مَثَّل المكاره بالحفاف، وهي الدائر بالشيء المحيط به الذي لا يتوصل إلى ذلك إلا بعد أن يتخطاه.

(١) صحيح مسلم (حديث رقم ٢٨٢٢).

وفائدة هذا أن الجنة لا تنال إلا بمجاهدة النفس وقطع مفاوزها والصبر على مرارة ما تكرهه كما في إسباغ الوضوء على المكاره.

وقوله: (لا يسمع بها أحد فيدخلها) أي: لا يسمع بها أحد إلا فزع منها واحترز فلا يدخلها.

ومما يؤخذ من الأحاديث:

١ - أن من يسعى لبلوغ الجنة عليه الصبر على الطاعات والامتثال لأوامر الله ﷻ.

٢ - يجب على المؤمن البُعْد عن الشهوات المحرمة التي تقربه من النار.

٣ - ما أعده الله من نعيم مقيم يجعل المؤمن يجتهد في الطاعات.

٤ - شفقة سيدنا جبريل عليه السلام على هذه الأمة.

٥ - أن الطريق إلى الجنة يحتاج إلى الكثير من الصبر والمجاهدة.

* * *

إحلال الرضوان على أهل الجنة

(٤) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، يَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لا نَرضى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَي شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا».

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، حديث رقم: ٦٥٤٩.

- وبنحوه أخرجه الترمذي في سُننه، كتاب صفة الجنة، باب (١٨) بدون عنوان، حديث رقم: ٢٥٥٥.

- وفي رواية: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ لأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ:

هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لا نَرضى يَا رَبِّ وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: يَا رَبِّ وَأَيِ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟، فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي فَلا أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا».

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب كلام الرب مع أهل الجنة، حديث رقم: ٧٥١٨.

- وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدًا، حديث رقم: ٢٨٢٩.

الشرح والبيان:

عند الترغيب في الطاعة والأعمال الصالحة تذكر الجنة وما فيها من نعيم مقيم، والجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وقد وردت في السنة النبوية أحاديث كثيرة تذكر ما في الجنة من النعيم المقيم ترغيبًا للمؤمنين في طلبها، ودفعًا لهم إلى التشمير لها، والفوز بدخولها والمقام بها، فهي سلعة الله الغالية.

ورضوان الله على أهل الجنة نعيمهم بما في الجنان، هذا دالّ على أن رضوان الله تعالى هذا متأخر عن دخول أهل الجنة.

وقولـه: (إن الله يقول لأهل الجنة) أي: بعد دخول الجنة (هل رضيتم؟)، ثم فسره فقال: (أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدًا).

وقوله: (أحل) أي: أنزل (عليكم رضواني) أي: أوجب لكـم رضائي فلا يـزول عنكم أبدًا دائـمًا لا انقطاع له بوجه من الوُجوه، وقد أكد ذلك بقوله: (فلا أسخط عليكم بعده أبـدًا)، وإنَّما قال (فلا أسـخط) لأنَّ السـخط موجب مخالفة الأوامر والنواهي ولا تكليف في الجنَّة فلا سخط.

والحكمة في ذكر دوام رضاه بعد الاستقرار، أنَّه لو أخبر به قبل الاسـتقرار لكان خبرًا من باب علم اليقين، فأخبر به بعـد الاسـتقرار ليكون من باب عين اليقين، وإليه الإشـارة بقولـه تعـالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[1].

(١) [سورة السجدة، الآية ١٧].

وقال القرطبيّ ﷺ: فيه دلالة على أن شكر النعمة وإن قلّت سببُ نَيْل رضا الله تعالى الذي هو أشرف أحوال أهل الجنة.

قيل: إنما كان الشكر سببًا لذلك الإكرام العظيم؛ لأنَّه يتضمّن معرفة المُنعِم، وانفراده بخلق تلك النعمة، وبإيصالها إلى المنعَم عليه، تفضلًا من المنعِم، وكرمًا ومنة، وإن المنعَم عليه فقير محتاج إلى تلك النِّعم.

ومما يؤخذ من الأحاديث:

١ - مخاطبة الله ﷻ لعباده ورضاه سبب النعيم في الجنة.

٢ - هناك فرق بين رضا العبد عن الله تعالى ورضا الله عن العبد، فرضا العبد عن الله ألا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد أن يراه مؤتمرًا لأمره منتهيًا عن نهيه.

٣ - أن الرضوان أعظم من الرضا، ولما كان أعظم الرضا هو رضا الله تعالى خُص لفظ الرضوان في القرآن بما كان من الله تعالى، وهكذا في الحديث معنا.

٤ - أن الخير كله والفضل والاغتباط إنما هو في رضا الله ﷻ، وكل شيء ما عداه وإن اختلفت أنواعه فهو من أثره.

حديث الإسراء والمعراج وفرض الصلوات

(٥) عَـنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَـالَ: كَانَ أَبُو ذَرٍّ يُحَدِّثُ أَنَّ رَسُـولَ الله ﷺ قَالَ: «فُرِجَ عَنْ سَقْفِ بَيْتِي وَأَنَا بِمَكَّةَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَفَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَـلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَانًا، فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِي فَعَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَلَمَّا جِئْتُ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَـا قَالَ جِبْرِيلُ لِخَازِنِ السَّـمَاءِ: افْتَحْ. قَالَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ. قَالَ: هَلْ مَعَكَ أَحَدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ مَعِي مُحَمَّدٌ ﷺ. فَقَالَ: أُرْسِـلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَلَمَّا فَتَحَ عَلَوْنَا السَّـمَاءَ الدُّنْيَا، فَـإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْـوِدَةٌ وَعَلَى يَسَـارِهِ أَسْـوِدَةٌ، إِذَا نَظَـرَ قِبَلَ يَمِينِـهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَـرَ قِبَلَ يَسَـارِهِ بَكَى، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِـيِّ الصَّالِحِ، وَالِابْنِ الصَّالِـحِ. قُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا آدَمُ. وَهَذِهِ الأَسْـوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِـمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالأَسْوِدَةُ التي عَنْ شِمَالِهِ

أَهْـلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِـمَالِهِ بَكَـى، حَتَّـى عَرَجَ بِي إِلَى السَّـمَاءِ الثَّانِيَةِ فَقَـالَ لِخَازِنِهَا: افْتَحْ. فَقَالَ لَهُ خَازِنُهَا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُ فَفَتَحَ».

قَـالَ أَنَسٌ: فَذَكَـرَ أَنَّهُ وَجَـدَ فِي السَّـمَوَاتِ آدَمَ وَإِدْرِيسَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَإِبْرَاهِيمَ -صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمْ - وَلَمْ يُثْبِتْ كَيْـفَ مَنَازِلُهُـمْ، غَيْرَ أَنَّهُ ذَكَرَ أَنَّـهُ وَجَدَ آدَمَ فِي السَّـمَاءِ الدُّنْيَا، وَإِبْرَاهِيـمَ فِي السَّـمَاءِ السَّادِسَـةِ. قَالَ أَنَـسٌ: فَلَمَّا مَـرَّ جِبْرِيلُ بِالنَّبِـيِّ ﷺ بِإِدْرِيـسَ قَـالَ: مَرْحَبًـا بِالنَّبِـيِّ الصَّالِـحِ وَالأَخِ الصَّالِـحِ. فَقُلْتُ: مَـنْ هَذَا؟ قَالَ: هَـذَا إِدْرِيسُ. ثُـمَّ مَرَرْتُ بِمُوسَى فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ وَالأَخِ الصَّالِحِ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا مُوسَـى. ثُمَّ مَرَرْتُ بِعِيسَى فَقَالَ: مَرْحَبًا بِـالأَخِ الصَّالِـحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ. قُلْتُ: مَنْ هَـذَا؟ قَالَ: هَذَا عِيسَـى. ثُمَّ مَـرَرْتُ بِإِبْرَاهِيمَ فَقَـالَ: مَرْحَبًا بِالنَّبِـيِّ الصَّالِحِ وَالِابْـنِ الصَّالِـحِ. قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: هَـذَا إِبْرَاهِيمُ ﷺ». قَـالَ ابْنُ شِـهَابٍ -أحد الـرواة: فَأَخْـبَرَنِي ابْنُ حَـزْمٍ أَنَّ ابْنَ عَبَّـاسٍ وَأَبَا حَبَّةَ الأَنْصَارِيَّ كَانَا يَقُولانِ: قَالَ النَّبِيﷺ: «ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلامِ».

قَـالَ ابْنُ حَزْمٍ وَأَنَـسُ بْنُ مَالِكٍ: قَـالَ النَّبِي ﷺ: «فَفَرَضَ اللهُ عَـلَى أُمَّتِـي خَمْسِـينَ صَـلاةً، فَرَجَعْـتُ بِذَلِكَ حَتَّـى مَرَرْتُ عَلَى مُوسَـى فَقَالَ: مَا فَرَضَ اللهُ لَـكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قُلْتُ: فَرَضَ خَمْسِـينَ صَـلاةً. قَـالَ: فَارْجِـعْ إِلَى رَبِّكَ، فَـإِنَّ أُمَّتَـكَ لا تُطِيقُ ذَلِـكَ. فَرَاجَعْتُ فَوَضَعَ شَـطْرَهَا، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَـى قُلْتُ: وَضَـعَ شَـطْرَهَا. فَقَـالَ: رَاجِـعْ رَبَّـكَ، فَـإِنَّ أُمَّتَـكَ لا تُطِيقُ، فَرَاجَعْـتُ فَوَضَـعَ شَـطْرَهَا، فَرَجَعْـتُ إِلَيْـهِ فَقَـالَ: ارْجِعْ إِلَى رَبِّـكَ، فَـإِنَّ أُمَّتَكَ لا تُطِيـقُ ذَلِكَ، فَرَاجَعْتُهُ. فَقَـالَ: هي خَمْسٌ وَهْيَ خَمْسُونَ، لا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ. فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقَالَ: رَاجِـعْ رَبَّـكَ. فَقُلْتُ: اسْـتَحْيَيْتُ مِنْ رَبِي. ثُـمَّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى سِـدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَغَشِـيَهَا أَلْـوَانٌ لا أَدْرِي مَا هِيَ؟ ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ».

أخرجـه البخـاري في صحيحـه، كتـاب الصـلاة، باب كيف فرضت الصلوات في الإسراء، حديث رقم: ٣٤٩.

الشرح والبيان:

تعتـبر الصـلاة بمدلولها الذي يعبر عن شـكر الخالق ﷻ قاسـمًا مشـتركًا بـين الديانـات السـماوية جميعها، فـكان من

دعاء الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[1]، وقال: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ﴾[2]، وقال ﷻ عن شريعة موسى عليه السلام: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۖ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[3]، وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿وَأَوۡصَىٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا﴾[4]. إلى غير ذلك من الآيات التي تشير إلى وجود عبادة لدى شريعة كل الأنبياء تسمى الصلاة.

وكانت رحلة الإسراء والمعراج في السنة العاشرة من البعثة وبعد وفاة السيدة خديجة رضي الله عنها زوج رسول الله ﷺ وأبي طالب عم الرسول ﷺ، وقد كانا ينافحان عن رسول الله ﷺ ويدفعان عنه أذى قريش؛ وقد حزن الرسول ﷺ عليهما حزنًا شديدًا حتى سُمِّي هذا العام بعام الحزن، وقد اشتد إيذاء قريش للرسول ﷺ بعد وفاتهما.

(١) [سورة إبراهيم، الآية ٣٨].
(٢) [سورة إبراهيم، الآية ٤٠].
(٣) [سورة يونس، الآية ٨٧].
(٤) [سورة مريم، الآية ٣١].

في هـذا الظـرف العصيـب أراد الله ﷻ أن يفـرج عن رسـوله ما نزل به، وأن يبين له أن ملكوت الله أوسـع من الأرض، فهيأ الله ﷻ رسـوله ﷺ لرحلتين في ليلة واحدة إحداهمـا أرضية والأخرى سـماوية، الأولى هي الإسراء، والثانيـة هـي المعراج، وكانـت هذه التهيئة تشـمل البدن والنفس.

ثم جيئ بعد ذلك بالبراق وهو دابة عجيبة الشـأن شـبيهة بالبغل الصغير، وسميت بالبراق لسرعة سيرها، حيث كانت تضـع حافرهـا عنـد منتهـى بصرهـا، نقلـت رسـول الله ﷺ وصاحبه جبريل ﷺ ليلًا من المسـجد الحرام إلى بيت المقدس حيث المسجد الأقصى، وذلك في جزء يسير من الليل؛ وقدرة الله ﷻ لا يعجزها شيء في الأرض ولا في السـماء؛ ومن يؤمن بالمعجزات التي قضى الله سـبحانه في كتابه أنه أجراها لأنبيائه لا ينبغـي أن يحيك في صدره شيء يحـول دون الإيمان بما قضى الله سـبحانه من أنه أسرى بنبيه ورسوله وعبده من مكة حيث المسـجد الحرام إلى بيت المقدس، قـال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ

ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[1].

ولما أُسْري برسول الله ﷺ إلى بيت المقدس كان في استقباله الأنبياء عليهم السلام فصلى بهم إمامًا، ثم نصب له المعراج وهو سلم رباني صعد عليه الرسول وجبريل إلى السماء الأولى فالثانية، وهكذا حتى انتهى إلى السماء السابعة، ورأى في كل سماء نبيًّا من الأنبياء، وهؤلاء هم: آدم، وعيسى، ويحيى، ويوسف، وإدريس، وهارون، وموسى، وإبراهيم عليهم جميعًا أفضل الصلاة والسلام.

وفي هذه الرحلة وصل الرسول ﷺ إلى سدرة المنتهى، وهي شجرة تشبه شجرة السدر من جهة، وتخالفها من جهات، فليس ورق سدرة المنتهى رقيقًا كعادة ورق الشجر، بل ورقها كبير كآذان الفيلة، وثمرها ليس صغيرًا ولكنه كبير كقُلال هَجَر.

ورأى رسول الله ﷺ في تلك الرحلة ما رأى، ثم في نهاية رحلة المعراج أوحى الله إلى نبيه فريضة الصلاة، وكانت

(١) [سورة الإسراء، الآية ١].

في أول فرضيتها خمسين صلاة في اليوم والليلة، ولما رجع رسول الله ومرّ بموسى -عليهما الصلاة والسلام- سأله ماذا فرض الله عليه؟ فأخبره، فقال له موسى: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لن تحتمل هذه الصلوات كلها وقد كان لي سابق تجربة مع قومي، فرجع رسول الله ﷺ إلى ربه مرة بعد أخرى، حتى كان الفرض الأخير وصارت خمسًا في العمل وخمسين في الأجر والثواب، فالحسنة بعشر أمثالها.

ثم رجع رسول الله ﷺ إلى مكة في ليلته، وأخبر القوم خبر ما رأى، فكان منهم المصدِّق، ومنهم المكذِّب، وكان على رأس الذين صدقوه سيدنا أبو بكر رضي الله عنه حيث قال لما سمع الخبر: إن كان قال فقد صدق، وكان على رأس المكذبين أبو جهل ومن معه.

ولما طلب المكذبون من رسول الله ﷺ أن يصف لهم ما رآه في طريقه أخبرهم بأنه مرّ على إبل لهم، وعدّها لهم، ووصفها كما رآها، وطلب منه المُطعم بن عدي أن يصف بيت المقدس، وكانت له به خبرة، فرفع الله بيت المقدس

أمـام رسـول الله ﷺ وطفـق يصفه لهـم بابًا بابًـا، حتى قال الرسول ﷺ: ما سألوني عن شيء إلا أخبرتهم به.

إن آيـة الله في الإسراء عظيمـة، وآيتـه في المعـراج أجـل وأعظـم، وإذا كان المعـاصرون لهذا الحدث من المشركين قد أنكروه اسـتبعادًا من أن يكون رسول الله ﷺ قد انتقل ببدنه مـن مكـة إلى بيت المقدس بهـذه السرعة الفائقـة، ثم أصبح بينهـم في ليلـة وهـم يقطعـون تلك المسـافة ذهابًا في شـهر، فليـس هذا الإنكار بعجيـب منهم لأنهم لا يؤمنون بالله ولا برسوله.

ونحـن نعلـم علم اليقـين أن الإيـمان بالغيـب جزء من الإيـمان الـذي يطالـب بـه المسـلم في دينـه، ولعـل التقـدم العلمـي والتقنيـة الحديثـة جديران بـأن يرسـخا الإيمان في نفوس أصحابه، وهذا التقدم العلمي كافٍ في إزالة ما يلقي الشـيطان في شبهة أمر الإسراء والمعراج من دعوى استحالة وقوعهما، فالإنسـان أصبح يجوب الفضاء من خلال الأقمار الصناعيـة والسـفن الفضائيـة، وهي في سرعتهـا أسرع من الصـوت، ومـن الممكـن بلغـة العـصر الحـاضر أن يقطـع

الإنسان المسافة من مكة إلى بيت المقدس ذهابًا وإيابًا فيما دون الساعة إذا ركب طائرة أسرع من الصوت، ولا يجد من ينكر عليه ذلك.

ولأن النتائج الرياضية تقول: لو وجد كائن له سرعة أكبر من سرعة الضوء لانمحت أمامه المسافات مهما عظمت، أي لأمكنه قطعها في غير زمن، وعروج النبي ﷺ إلى السماء في معراجه لم يكن ذاتيًا ولكن بواسطة ملك الوحي جبريل عليه السلام، ولذا ورد في النص (عُرج) بصيغة المبنى للمفعول؛ ولم يقل النبي ﷺ: (عرجتُ إلى السماء) وإذن لا تستغرق رحلة المعراج من مثل زماننا هذا إلا دقائق معدودة.

والعلم يجيز أن تكون هناك سرعة أكبر من سرعة الضوء، ومن عجيب الأمر أن الصديق رضي الله عنه قد احتج في الواقع على صدق المعراج بسرعة الملك يأتي الرسول ﷺ بخبر الوحي، فكيف لا يصدّق في خبر الإسراء والمعراج.

وقد أشار الحاكم في الإكليل إلى أن حديث المعراج صحيح، صح سنده بلا خلاف بين الأئمة، ونقله العدل عن العدل، ومدار الروايات الصحيحة فيه عن أنس رضي الله عنه،

وقد سمع بعضه من النبي ﷺ، وبعضه من أبي ذر، وبعضه من مالك بن صعصعة، وذكر ابن الجوزي أنه روى حديث الإسراء والمعراج جماعة، منهم: علي، وابن مسعود، وأُبيّ، وحذيفة، وأبو سعيد، وجابر، وأبو هريرة، وابن عباس، وأم هانئ.

فوائد حديث الإسراء والمعراج:

أولًا: كيف كانت الصلاة قبل الإسراء؟ كانت صلاة قبل غروب الشمس، وصلاة قبل طلوعها، بدليل قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾[1]. وقد ورد عن مقاتل بن سليمان أنه قال: فرض الله الصلاة في أول الإسلام ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي، ثم فرض الخمس ليلة المعراج[2].

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: فرضت الصلاة بمكة ركعتين ركعتين، فلما هاجر رسول الله ﷺ فرضت أربعًا، وتركت صلاة السفر على الأولى[3].

(١) [سورة غافر، الآية ٥٥].
(٢) عيون الأثر لابن سيد الناس ١/ ١٠٩.
(٣) انظر صحيح البخاري (حديث رقم ٣٥٠)، وصحيح مسلم (حديث رقم ٦٨٥).

ثانيًا: لماذا كان الإسراء ليلًا؟ قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا﴾[1]. وإنما كان في الليل لأكثر من وجه:

الليل وقت الخلوة والمناجاة بين الأحبة، ومحل استجابة الدعاء والغفران والعطاء، وفيه تصفو النفس من شواغل الحياة وأعبائها، ولذلك كانت بداية الوحي ليلًا، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾[2]، كما أن الله ﷻ أكرم بعض أنبيائه بأنواع من الكرامات ليلًا: قال تعالى في قصة إبراهيم عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّيۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ﴾[3]، وقال في قصة لوط عليه السلام: ﴿فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾[4]، وقال: ﴿نَجَّيۡنَٰهُم بِسَحَرٖ﴾[5]، وقال في شأن يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓ﴾[6] حيث أخّر نبي الله يعقوب عليه السلام دعاءه إلى وقت السحر من ليلة الجمعة، وواعد

(١) [سورة الإسراء، الآية ١].
(٢) [سورة القدر، الآية ١].
(٣) [سورة الأنعام، الآية ٧٦].
(٤) [سورة هود، الآية ٨١].
(٥) [سورة القمر، الآية ٣٤].
(٦) [سورة يوسف، الآية ٩٨].

الله موسى ﷺ أربعين ليلة: ﴿وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةٗ وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِۦٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةٗ﴾[1]، ولما أمره بالخروج من مصر ببني إسرائيل أمره بالخروج ليلًا، فقال: ﴿فَأَسۡرِ بِعِبَادِي لَيۡلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ﴾[2]، وقد أكرم الله نبيه ليلًا بأمور منها انشقاق القمر، وخروجه إلى الغار ليلًا مع وجود مائة من قريش على بابه ينتظرون قتله.

أن الله ﷻ قدم الليل على النهار في أكثر من آية فقال: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيۡنِ﴾[3]، وقال: ﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾[4]، على أن ذكر الليل في القرآن أكثر من ذكر النهار، حيث ذكر الليل في القرآن في اثنين وتسعين موضعًا، والنهار ذكر في سبعة وخمسين موضعًا.

قيل: إن الليل كالأصل، ولهذا كان أول الشهر مرتبطًا به برؤية الهلال، ولا يكون ذلك إلا ليلًا، وقالوا: إنه لا ليل إلا ومعه نهار، وقد يكون نهار بلا ليل وهو يوم القيامة ومقداره خمسون ألف سنة.

---

(١) [سورة الأعراف، الآية ١٤٢].
(٢) [سورة الدخان، الآية ٢٣].
(٣) [سورة الإسراء، الآية ١٢].
(٤) [سورة يس، الآية ٤٠].

ومما يؤخذ من الحديث:

١ – عظيم قدرة الله تعالى، وأنه سبحانه لا يعجزه شيء.

٢ – المكانة السامية والمنزلة الكبيرة للرسول ﷺ.

٣ – عِظَم قدر الصلاة بفرضها في السماء.

٤ – فضل الحياء من الله تعالى.

٥ – حرص سيدنا موسى عليه السلام على التخفيف عن الأمة المحمدية.

* * *

فضل المحافظة على الصلوات الخمس

(٦) عَـنِ أبي قتادة بْنِ رِبْعِيٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ الله ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: إِنِّي فَرَضْتُ عَلَى أُمَّتِكَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، وَعَهِدْتُ عِنْـدِي عَهْدًا؛ أَنَّهُ مَنْ جَاءَ يُحَافِـظُ عَلَيْهِنَّ لِوَقْتِهِنَّ أَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ فَلا عَهْدَ لَهُ عِنْدِي».

أخرجـه أبـو داود في سُـننه، كتـاب الصـلاة، بـاب في المحافظة على وقت الصلوات، حديث رقم: ٤٣٠.

– وعنـه أيضًـا أَنَّ رَسُـولَ الله ﷺ قَـالَ: «قَـالَ اللهُ ﷻ: افْتَرَضْـتُ عَلَى أُمَّتِكَ خَمْسَ صَلَـوَاتٍ، وَعَهِدْتُ عِنْدِي عَهْدًا أَنَّهُ مَـنْ حَافَظَ عَلَيْهِـنَّ لِوَقْتِهِنَّ أَدْخَلْتُهُ الْجَنَّـةَ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ فَلا عَهْدَ لَهُ عِنْدِي».

أخرجه ابن ماجه في سُـننه، كتاب إقامة الصلاة والسـنة فيهـا، بـاب ما جاء في فـرض الصلوات الخمـس والمحافظة عليها، حديث رقم: ١٤٠٣.

الشرح والبيان:

هذا الحديث فيه دعوة صريحة إلى ضرورة الحفاظ على الصلاة التي هي عماد الدين، والحفاظ عليها لا مشقة فيه ولا حرج، لأنها ركعات معدودات، يؤديها المرء في البيت أو في المسجد أو في مكان عمله؛ لقول رسول الله ﷺ: «وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا»[1]، ورغم أنها خمس صلوات إلا أن الله يكتبها لعبده في الثواب مقدار خمسين صلاة بنص الحديث.

ولقد دعا القرآن الكريم إلى ضرورة الحفاظ على تلك الصلوات في أكثر من آية، ومدح الموصوفين بالمحافظة عليها، فقال تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[2].

والصلاة لها منزلة عظيمة في الإسلام، بدليل أن الشارع إذا ذكر أمور الإسلام قدم الصلاة فقال تعالى:

(١) صحيح البخاري (حديث رقم ٣٢٨، ٤٢٧)، وصحيح مسلم (حديث رقم ٥٢١).
(٢) [سورة البقرة، الآية ٢٣٨].

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[1]، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[2]. وقد ذكر الله ﷻ الإيمان والصلاة ولم يذكر معهما غيرهما، دلالة بذلك على اختصاص الصلاة بالإيمان فقال سبحانه: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾[3]، أي: فلا هو صدق رسول الله ﷺ فآمن به ولا صلى. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ﴾[4]، ثم قال ﷻ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾[5]. وبخهم على ترك الصلاة كما وبخهم على ترك الإيمان، وقد ذكر الله الصلاة وحدها دلالة بذلك على أنها عماد الدين، فذكر ﷻ الأنبياء المتقدمين ومدحهم بأنهم كانوا: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾[6]. ثم ذكر من خالف مذهبهم فذمهم فقال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ

(١) [سورة البقرة، الآية ٣].
(٢) [سورة البقرة، الآية ٤٣].
(٣) [سورة القيامة، الآية ٣١].
(٤) [سورة المرسلات، الآية ٤٨].
(٥) [سورة المرسلات، الآية ٥٠].
(٦) [سورة مريم، الآية ٥٨].

خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾[3]، يعنى الصلوات الخمس تكفر ما بينها.

لقد أكد القرآن الكريم على ضرورة المحافظة على الصلوات الخمس، فقال في حق هؤلاء المحافظين على الصلاة: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[4] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾[5].

وفي الحديث الشريف الذي معنا أكد رب العزة فرضية الصلوات الخمس، وأخذ على نفسه عهدًا أن من حافظ عليهن وأداهن في وقتهن أدخله الله الجنة، ومن لم يحافظ عليهن فليس له عند الله عهد في دخوله الجنة.

(١) [سورة مريم، الآية ٥٩].
(٢) [سورة العنكبوت، الآية ٤٥].
(٣) [سورة هود، الآية ١١٤].
(٤) [سورة المعارج، الآية ٣٤].
(٥) [سورة المؤمنون، الآية ٩].

إن الصلاة في حقيقة أمرها ذكر لله ﷻ ومناجاة له، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[1]، والذكر في الصلاة هو محاورة ومناجاة لله تشتمل على تفكر وتأمل، وتضرع وخشوع، إنها تشتمل على تلاوة القرآن الذي هو كلام الله ﷻ، وعلى التسبيح والتحميد والتكبير، بما يشعر من أخلص في صلاته براحة بال، وسكينة نفس، وطمأنينة، فلا يقلق ولا يضطرب، بل هو يناجي خالقه سائلًا إياه أن يعينه وأن يرشده الصواب.

إن الصلاة تذكر الإنسان بموقعه من الكون وخالقه، وتذكره برسالته التي استخلفه الله فيها، إنها ليست تعطيلًا لعمل على حساب آخر، بل هي دافع قوي لأداء الأعمال على خير وجه، وعدم الغش فيه، أو التقصير في أداء واجبه، وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾[2].

(١) [سورة طه، الآية ١٤].
(٢) [سورة العنكبوت، الآية ٤٥].

ومما يؤخذ من الحديث:

١ - أهمية أداء الصلوات المفروضة، وأن ثواب ذلك هو الجنة.

٢ - أن العهد من الله ﷻ لإثابة المصلين شرف ما بعده شرف (ومن أوفى بعهده من الله).

٣ - فضل المحافظة على وقت الصلاة وعدم خروجها عن وقتها.

* * *

فضل صلاة الضحى

(٧) عَنْ نُعَيْمِ بْنِ هَمَّازٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «يَقُولُ اللهُ ﷻ: يَا ابْنَ آدَمَ لا تُعْجِزْنِي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ فِي أَوَّلِ نَهَارِكَ، أَكْفِكَ آخِرَهُ».

أخرجه أبو داود في سُننه، كتاب التطوع، باب صلاة الضحى، حديث رقم: ١٢٨٩.

(٨) وعن أَبِي الدَّرْدَاءِ وَأَبِي ذَرٍّ ﷺ عَنْ النبي ﷺ: «عَنِ الله ﷻ أَنَّهُ قَالَ: ابْنَ آدَمَ، ارْكَعْ لِي مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ أَكْفِكَ آخِرَهُ».

أخرجه الترمذي في سُننه، كتاب الصلاة، باب ما جاء في صلاة الضحى، حديث رقم: ٤٧٧، وقال: حديث حسن غريب.

الشرح والبيان:

مما لا شك فيه أن المسلم يتقرب بأعماله الصالحة في ليله ونهاره إلى الله ﷻ، والصلاة خير معراج يقرب الإنسان إلى ربه، ولذا فرضت ليلة المعراج، وهذه الصلوات التي يؤديها المسلم بعضها فرض لازم لا يجوز التهاون فيه؛ وهي الصلوات الخمس؛ وهناك صلوات أخرى نافلة تقرب العبد إلى الله ﷻ أيضًا، كما ورد في الحديث القدسي: «ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه...»[1] إلخ.

ومن الصلوات التطوعية (صلاة الضحى)، هذه الصلاة فضلها عظيم وثوابها كثير، إنها سبب غفران الذنوب، وتكفير السيئات، وزيادة الحسنات. ووقت الضحى يبدأ من انبساط الشمس وامتداد النهار، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾[2]، وقال سبحانه: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾[3]، وقال ﷻ: ﴿وَأَن يُحۡشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى﴾[4].

(١) صحيح البخاري (حديث رقم ٦١٣٧).
(٢) [سورة الشمس، الآية ١].
(٣) [سورة الضحى، الآيتان ١، ٢].
(٤) [سورة طه، الآية ٥٩].

وفي هـذا الحديـث دعـوة مـن الله ﷻ لعبـده المؤمـن أن يحافظ على صلاة أربع ركعات في أول النهار، وهي ركعات الضحى، وأنه لو فعل ذلك بالمحافظة عليها فإن المكافأة على ذلك هي أن الله يحفظه من شر ذلك اليوم إلى آخره.

ويدخـل وقـت الضحى بعـد طلوع الشـمس تقريبًـا بثلث سـاعة، ويسـتمر أداء صـلاة الضحـى إلى قرب الـزوال، أي إلى قرب صلاة الظهر، وليست العبرة بطلوع الشمس؛ لأن الشمس قد لا تظهر بسبب غيم مثلًا، فلتقدر بمقدار ثلث ساعة كما قلنا.

ولصلاة الضحى فضائل متعددة منها:

١ - أنها تجزئ عن الصدقة التي تصبح على مفاصل الإنسان كل يـوم، وهي ثلاثمائة وسـتون مفصلًا، فقـد ورد في الحديث الصحيـح الذي أخرجه مسـلم من روايـة أبي ذر ﷺ قال: قال رسـول الله ﷺ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُـلامَى مِـنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْـبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِـيرَةٍ صَدَقَـةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْـرُوفِ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَـنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى»[1].

(١) صحيح مسلم (حديث رقم ١٧٠٤).

٢ - أنها تغفر ذنوب الإنسان وإن كانت مثل زبد البحر، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حَافَظَ عَلَى شُفْعَةِ الضُّحَى، غُفِرَت ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»[١].

٣ - من حافظ على ثنتي عشرة ركعة من الضحى بنى الله له قصرًا في الجنة، وقد ورد في ذلك حديث عن أنس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ صَلَّى الضُّحَى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً بنى اللهُ لَهُ قَصْرًا مِنْ ذَهَبٍ فِي الْجَنَّةِ»[٢].

٤ - من يحافظ على الضحى فاز بالغنيمة كفوز المجاهد في سبيل الله ضد المعتدين، فعن أبي هريرة ﷺ قال: بعث رسول الله مبعثًا فأعظموا الغنيمة[٣]، وأسرعوا الكرة[٤]، فقال رجل: يا رسول الله؛ ما رأينا بعثًا أسرع كرّةً ولا أعظم غنيمة من هذا البعث، فقال: ألا أخبركم بأسرع كرّة منهم، وأعظم غنيمة؟ رجل توضأ فأحسن الوضوء، ثم عمد إلى المسجد فصلى فيه الغداة[٥]، ثم عقّب بصلاة الضحوة فقد أسرع الكرّة، وأعظم الغنيمة»[٦].

---

(١) سُنن الترمذي (حديث رقم ٤٧٦، ١٣٨٢).
(٢) سُنن الترمذي (حديث رقم ٤٧٣)، وسُنن ابن ماجه (حديث رقم ١٣٨٠).
(٣) يعني: أحضروا شيئًا غاليًا نفيسًا.
(٤) يعني: رجعوا بسرعة منتصرين.
(٥) يعني: صلاة الصبح.
(٦) مسند أبي يعلى (حديث رقم ٦٥٥٩).

عدد ركعات صلاة الضحى:

دلت الأحاديث عمومًا على فضيلة صلاة الضحى، واختلفت الروايات في عدد ركعاتها، فالأحاديث التي معنا تفيد بأن صلاة الضحى أربع ركعات، ركعتان فركعتان، وقد ورد ما يفيد أنها ركعتان فقط، فعن أبي هريرة ﷺ قال: أوصاني خليلي بثلاث: بصيام ثلاثة أيام من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أرقد[١].

وسئلت عائشة ﷺ أكان النبي ﷺ يصلي الضحى؟ قالت: نعم، أربع ركعات ويزيد ما شاء الله[٢].

وعن السيدة عائشة ﷺ أيضًا أنها كانت تصلي الضحى ثماني ركعات، ثم تقول: لو نُشر لي ديواني ما تركتها[٣].

وروي عن أم سلمة ﷺ أنها كانت تصلي الضحى ثماني ركعات قاعدة، فقيل لها: إن عائشة ﷺ كانت تصليها أربعًا، قالت: إن عائشة امرأة شابة، وإن رسول الله ﷺ قال: «صلاة القاعد على نصف أجر القائم»[٤].

(١) صحيح البخاري (حديث رقم ١١٢٤).
(٢) صحيح مسلم (حديث رقم ٧١٩).
(٣) شرح السنة للبغوي (حديث رقم ١٠٠٦).
(٤) مسند ابن الجعد (حديث رقم ٢٦٦).

أداء رسول الله ﷺ لصلاة الضحى:

عن أم هانئ رضي الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ دخل بيتها يوم فتح مكة، فاغتسل وصلى ثماني ركعات، فلم أر صلاة قط أخف منها، غير أنه يتم الركوع والسجود[1]. وعن عتبان بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ صلى في بيته سُبحة الضحى، فقاموا وراءه فصلّوا[2]. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يصلي الضحى حتى نقول: لا يدعها، ويدعها حتى نقول: لا يصليها[3].

وسئلت عائشة رضي الله عنها أكان النبي ﷺ يصلي الضحى؟ فقالت: لا، إلا أن يجيئ من مغيبه[4]، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ يصلي سبحة الضحى قط، وإني لأسبحها؛ وإن كان رسول الله ﷺ ليدع العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس فيفرض عليهم[5]، ولا ينافي ذلك أن يبلغها بإخبار غيرها أنه

(١) صحيح البخاري (حديث رقم ١١٧٦).
(٢) انظر: صحيح البخاري (حديث رقم ٤١٤، ٦٥٤، ٨٠٤).
(٣) سُنن الترمذي (حديث رقم ٤٧٧).
(٤) صحيح مسلم (حديث رقم ٧١٧).
(٥) صحيح البخاري (حديث رقم ١٠٧٦، ١١٢٣)، وصحيح مسلم (حديث رقم ٧١٨).

صلاها، أو بإخباره هو ﷺ، ولذلك ورد عنها أيضًا إثبات أنه ﷺ صلاها.

الإشارة إلى صلاة الضحى في القرآن: يمكن أن تستنبط صلاة الضحى من خلال آيات القرآن الكريم، فعن ابن عباس ﷺ قال: طلبت صلاة الضحى في القرآن فوجدتها ها هنا: ﴿يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾[1]. وفي رواية أخرى عن ابن عباس ﷺ قال: إن صلاة الضحى لفي القرآن، وما يغوص عليها إلا غواص، في قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾[2]. وعن عون العقيلي في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾[3]. قال: الذين يصلون صلاة الضحى.

من خلال ما سبق يتبين لنا أن رسول ﷺ كان يصلي الضحى، وأنه ثبتت عنه أحاديث في الترغيب فيها، وأن أصحابه ﷺ كانوا يصلونها.

(١) [سورة ص، الآية ١٨]. وانظر: الدر المنثور للسيوطي ٧/ ١٥١.
(٢) [سورة النور، الآية ٣٦]. وانظر: تفسير الطبري ١٣/ ٣٥٦، وتفسير ابن عطية ٤/ ١٨٦.
(٣) [سورة الإسراء، الآية ٢٥].

ومما يؤخذ من الأحاديث:

١ - فضيلـة صلاة الضحى وما أعـده الله لصاحبها من ثواب ومكافأة.

٢ - أن صلاة الضحى تبدأ بركعتين اثنتين، ولا مانع من الزيادة على ذلك كأن تكون أربع ركعات، أو سـت ركعات، أو ثماني ركعات.

* * *

فضل الإنفاق في الخير

(٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ ﷻ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ». وَقَالَ: يَدُ الله مَلأى لا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ. وَقَالَ: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْمِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ».

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، من سورة هود، باب قوله تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾، حديث رقم: ٤٤٠٧.

– وعنه ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ: أَنْفِقْ يَا ابْنَ آدَمَ أُنْفِقْ عَلَيْكَ».

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، حديث رقم: ٥٣٥٢.

- وعَنْه أيضًا يَبْلُغُ بِهِ النَّبِي ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ». وَقَالَ: «يَمِينُ الله مَلأى -وَقَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ: مَلآنُ- سَحَّاءُ لا يَغِيضُهَا شيء اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ».

أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف، حديث رقم: ٢٣٥٥.

- وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أيضًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَالَ لِي: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ». وَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَمِينُ الله مَلأَى، لا يَغِيضُهَا سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُذْ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ؟ فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَمِينِه». قَالَ: «وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ وَبِيَدِهِ الأُخْرَى الْقَبْضُ يَرْفَعُ وَيَخْفِضُ».

أخرجه مسلم في صحيحه، في نفس الموضع، حديث رقم: ٢٣٥٦.

- وعند ابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ النَّذْرَ لَا يَأْتِي ابْنَ آدَمَ بِشَيْءٍ إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ، وَلَكِنْ يَغْلِبُهُ الْقَدَرُ مَا قُدِّرَ لَهُ، فَيُسْتَخْرَجُ بِهِ مِنَ الْبَخِيلِ فَيُيَسَّرُ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَكُنْ يُيَسَّرُ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ، وَقَدْ قَالَ الله: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ».

أخرجه ابن ماجه في سُننه، كتاب الكفارات، باب النهي عن النذر، حديث رقم: ٢١٢٣.

الشرح والبيان:

أمر الله سبحانه عبده أن ينفق في المصالح الخيرية والمشاريع الحيوية، مما أنعم الله عليه، وجعله حاكمًا عليه وتحت يده؛ لأن المال كُله من الله تعالى، قال الله ﷻ: ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴾[1]. والله أنعم على عبده بالنعم ليستعملها في مرضاة الله وفى مصالح عباد الله، لا سيما المال إذا زاد عن كفايته، وكفاية من يلزمه نفقته شرعًا، فقال الله: (أنفق أنفق عليك)، وهذا من باب المشاكلة كما قال صاحب شرح المشكاة، لأن إنفاق الله لا ينقص خزائن الله شيئًا؛ فالمنفق يعوضه الله ويخلف عليه أضعافًا مضاعفة، صحة، وبركة في الأهل والمال والولد والوقت وغير ذلك، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّى يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾[2]، ويقول تعالى: ﴿ مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا

(١) [سورة النحل، الآية ٥٣].
(٢) [سورة سبأ، الآية ٣٩].

عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿[1].

إن فضيلة الشيء تظهر من مكسبه في الدنيا ومن جزائه في الآخرة، كما تظهر في خسارة نقيضه دنيا وعاقبة نقيضه أخرويًّا، ومن هنا اتخذت الشريعة الإسلامية أسلوب الحث على الإنفاق والترغيب فيه والوعد الجميل عليه، وحذرت من الشح بالتنفير منه والوعيد الشديد عليه.

وفي هذا الحديث القدسي توجيه بالإنفاق وحثٌّ عليه، وألا نخشى نفاد ما لدى المنفِق، فالله هو الرزَّاق ابتداءً، والله هو الرزَّاق حالًا ومآلًا، خزائنه لا تنفد، وعطاياه لا تنتهي، فهي دائمة دوام الليل والنهار، ولو أن الإنسان تدبر كم أنفقت البشرية منذ آدم إلى يومنا، وكم استهلكت من أرزاق منذ خَلْق السماوات والأرض، لو تصورنا ذلك لتخيلنا كَمًّا هائلًا لا نستطيع إحصاءه ولا الإحاطة به، ومع ذلك لم تنفد خزائن ربنا، بل لم تنقص قيد شعرة واحدة.

وقوله: (يد الله ملأى) كناية عن خزائنه التي لا تنفد، وإنما خاطبهم رسول الله ﷺ بما هو شائع في الإعطاء فعبر

(١) [سورة النحل، الآية ٩٦].

عـن تـوالي النعم بسـح اليمـين، لأن البـاذل منـا يفعل ذلك بيمينـه، ولمـا كانـت اليـدان مظهر ذلـك التـصرف عبر عن القـدرة بتـصرف اليديـن على سـبيل المجـاز، (سـحاء الليل والنهـار) بفتح السـين والحـاء، أي: دائمة الصـب، ولذلك قرنـه الله بما يدل على الاسـتمرار من ذكر الليـل والنهار، ثم أتبعـه بـما يدل عـلى أن ذلك ظاهـر غير خافٍ عـلى ذي بصر وبصيرة، وهو قوله: (أرأيتـم) على تطاول المدة، وفيه حملهم عـلى الإقـرار بما بعـده، (ما أنفـق) أي الذي أنفقـه منذ خلق السـماوات والأرض؟ فإنـه لم (يغـض) أي لم ينقـص (ما في يـده) كما في البخاري، وفى مسـلم (فإنه لم يغض ما في يمينه) أي خزائنـه سـبحانه، وقوله: (وكان عرشـه على المـاء وبيده الأخرى القبض، يرفع ويخفض) كناية عن العدل بين الخلق.

ومما يؤخذ من الحديث:

١ - الدعوة إلى الإنفاق في أوجه الخير.

٢ - الخـير الـذي تفعله في الدنيـا يعود عليـك بالثواب العظيم يوم القيامة والبركة في الدنيا.

٣ - خزائن الله ملأى، ونعم الله لا يحصيها عدٌّ ولا يحيط بها علم.

الحث على الصدقة

(١٠) عَنْ بُسْرِ بْنِ جِحَاشٍ[١] الْقُرَشِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِي ﷺ: «يَقُولُ اللهُ ﷻ: أَنَّى تُعْجِزُنِي ابْنَ آدَمَ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ مِثْلِ هَذِهِ. فَإِذَا بَلَغَتْ نَفْسُكَ هَذِهِ- وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ- قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ. وَأَنَّى أَوَانُ الصَّدَقَةِ؟».

أخرجه ابن ماجه في سُننه، كتاب الوصايا، باب النهي عن الإمساك في الحياة والتبذير عند الموت، حديث رقم: ٢٧٠٧، قال البوصيري: إسناده صحيح، رجاله ثقات[٢].

(١١) عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ ﷺ قال: كُنْتُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَجَاءَهُ رَجُلانِ أَحَدُهُمَا يَشْكُو الْعَيْلَةَ[٣]، وَالآخَرُ

(١) بُسْرٌ (بضم الباء الموحدة وسكون السين المهملة)، وجِحاش (بكسر الجيم بعدها حاء مهملة مخففة)، وهو قُرشي، مات بحمص.
(٢) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه ٣/ ١٤٣.
(٣) العيلة: الفقر والحاجة والفاقة.

يَشْكُو قَطْعَ السَّبِيلِ[1]، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَمَّا قَطْعُ السَّبِيلِ، فَإِنَّهُ لا يَأْتِي عَلَيْكَ إِلاَّ قَلِيلٌ حَتَّى تَخْرُجَ الْعِيرُ إِلَى مَكَّةَ بِغَيْرِ خَفِيرٍ[2]، وَأَمَّا الْعَيْلَةُ فَإِنَّ السَّاعَةَ لا تَقُومُ حَتَّى يَطُوفَ أَحَدُكُمْ بِصَدَقَتِهِ لا يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا مِنْهُ، ثُمَّ لَيَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ بَيْنَ يَدَيِ الله لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ حِجَابٌ وَلا تُرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ، ثُمَّ لَيَقُولَنَّ لَهُ: أَلَمْ أُوتِكَ مَالًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى. ثُمَّ لَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أُرْسِلْ إِلَيْكَ رَسُولًا؟ فَلَيَقُولَنَّ: بَلَى. فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلا يَرَى إِلاَّ النَّارَ، ثُمَّ يَنْظُرُ عَنْ شِمَالِهِ فَلا يَرَى إِلاَّ النَّارَ، فَلْيَتَّقِيَنَّ أَحَدُكُمُ النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ».

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد، حديث رقم: ١٤١٣.

– وعنه رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الْفَاقَةَ[3]، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ، فَشَكَا قَطْعَ السَّبِيلِ. فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ هَلْ رَأَيْتَ الْحِيرَةَ»[4]. قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا.

(١) قطع السبيل: قطع الطريق باللصوص.
(٢) خفير: مجير وحارس، والخفارة: الذمة.
(٣) الفاقة: الفقر والحاجة.
(٤) الحِيَرة (بكسر الحاء): البلد القديم بظهر الكوفة، ومحلة معروفة بنيسابور.

قَالَ: «فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ[1] تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، لا تَخَافُ أَحَدًا إِلاَّ اللهَ» قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي: فَأَيْنَ دُعَّار[2] طَيِّئٍ[3] الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا الْبِلادَ[4]: «وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى». قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: «كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلا يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، وَلَيَلْقَيَنَّ اللهَ أَحَدُكُمْ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ يُتَرْجِمُ لَهُ. فَيَقُولَنَّ: أَلَمْ أَبْعَثْ إِلَيْكَ رَسُولًا فَيُبَلِّغَكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَقُولُ: أَلَمْ أُعْطِكَ مَالًا وَأُفْضِلْ عَلَيْكَ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. فَيَنْظُرُ عَنْ يَمِينِهِ فَلا يَرَى إِلاَّ جَهَنَّمَ، وَيَنْظُرُ عَنْ يَسَارِهِ فَلا يَرَى إِلاَّ جَهَنَّمَ». قَالَ عَدِيٌّ: سَمِعْتُ النَّبِيَ ﷺ يَقُولُ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقَّةِ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ شِقَّةَ تَمْرَةٍ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ».

قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الْحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالْكَعْبَةِ، لا تَخَافُ إِلاَّ اللهَ، وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى

---

(١) الظَّعِينَة: المرأة المسافرة، قيل لها ذلك لأنها تظعن مع الزوج حيثما ظعن، أو لأنها تُحمل على الراحلة إذا ظعنت. وقيل: الظعينة المرأة في الهودج، ثم قيل للهودج بلا امرأة وللمرأة بلا هودج: ظعينة.

(٢) دُعَّار: جمع داعر، وهو الشرير، ويطلق على المفسد والسارق.

(٣) طَيِّئ: قبيلة عربية مشهورة.

(٤) سعَّروا البلاد: ملأوها شرًّا وفسادًا، وأوقدوا نار الفتنة في البلاد.

بْـنِ هُرْمُزَ، وَلَئِـنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَـاةٌ لَتَرَوُنَّ مَا قَـالَ النَّبِي أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ: «يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ».

أخرجـه البخـاري في صحيحـه، كتـاب المناقـب، باب علامات النبوة في الإسلام، حديث رقم: ٣٥٩٥.

- والحديث عند الترمذي بسياق طويل، وفيه: «... يقي أحدكم وجهه حَرَّ جهنم...».

أخرجـه الترمذي في سُـننه، كتاب تفسـير القـرآن، باب ومن سورة فاتحة الكتاب، حديث رقم: ٢٩٥٤. وقال: هذا حديث حسن غريب.

الشرح والبيان:

إن الباحـث في سـنة رسـول الله ﷺ ليجـد أنهـا تحفـل بالمبادئ التربوية العظيمة التي تتناول جوانب علمية تربوية مختلفة بشـكل يثـير الدهشـة ويبعث على الإعجـاب، ومن تلك المبادئ اسـتخدامه ﷺ لكل وسـيلة بصرية أو سـمعية ممكنة من شـأنها أن تساعد على زيادة الفهم، أو تأكيد المعنى وتحديد المفهومات المجردة.

وقد استخدم رسول الله ﷺ وسيلة الإشارة الحسية التي يرتبط فيها المفهوم المجرد بشيء حسي ملموس وهو الأصبع، موضحًا أن الله تعالى الذي خلق الإنسان من نطفة قادر عليه، يقول الله سبحانه: (أنى تعجزني ابن آدم، وقد خلقتك من مثل هذه، فإذا بلغت نفسك هذه -وأشار إلى حلقه الشريف - قُلْتَ - أي: قال الإنسان-: أتصدَّق)، فرسول الله ﷺ يتعجب «وأنى أوان الصدقة»؟ أي: هل هذا أوان الصدقة؟ إنما أوانها وأنت صحيح سليم، كما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل للنبي ﷺ: أي الصدقة أفضل؟ قال: «أن تصَّدّق وأنت صحيح حريص، تأمل الغنى وتخشى الفقر، ولا تهمل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان»[1]، وذلك لأن الإنسان حال الصحة يصعب عليه إخراج المال غالبًا لما يخوفه به الشيطان ويزين له إمكان طول العمر والحاجة إلى المال، كما قال تعالى: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾[2].

(١) صحيح البخاري (حديث رقم ٢٥٩٧).
(٢) [سورة البقرة، الآية ٢٦٨].

وروايـة الإمـام أحمـد واضحـة في كل هـذا، وفيهـا: أن النبـي ﷺ قال: قـال الله: ابن آدم أنَّى تعجـزني وقد خلقتك من مثل هذه، حتى إذا سويتك وعدلتك، مشيت بين بُردين ولـلأرض منـك وئيد، فجمعـت ومنعت، حتـى إذا بلغت التراقي، قلت: أتصدق، وأنّى أوان الصدقة[1].

والوئيد: صوت شـدة الوطء على الأرض، أي مشـيت متكـبرًا وتركـت النظر في أصلك وفي أمـر الذي خلقك من ذلك الأصل.

وقولـه: (وأفضـل عليـك) أي: أحسـن إليـك، بمعنى أعطيتك المال ومكنتك من إنفاقه والاستمتاع منه.

وقوله: (لترون ما قال) أي: سيُرى ما قال، وهو الرجل الذي يخرج بصدقته... إلى آخره.

قال الطيبي: قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، أي: كما أخبر به رسول الله ﷺ، ثـم قال: وكنت فيمـن افتتح كنوز كسرى بن هرمز (بضم الهاء والميم).

(١) مسند أحمد (حديث رقم ١٧٨٤٢).

وجزم البيهقي: بأن ذلك كان في زمن عمر بن عبد العزيز ﷺ خامس الخلفاء الراشدين، لحديث عمر بن أسيد قال: «إنما ولي عمر بن عبد العزيز ثلاثين شهرًا، لا والله، ما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم، فيقول: اجعلوا هذا حيث ترون في الفقراء، فما يبرح حتى يرجع بماله، نتذاكر من نضعه فيه فلا نجده فيرجع بماله، قد أغنى عمر الناس».

ومما يؤخذ من الأحاديث:

١ - تعجيل وفاء الدين، والتصدق في الحياة والصحة قبل المرض والموت، ولأن يتصدق الإنسان في حياته وصحته بدرهم خير له من أن يتصدق عند موته بمائة.

٢ - الإنسان في قبضة الله ﷻ ولا يدري متى يأتي الأجل.

٣ - على الإنسان أن يتحلى بخلق التواضع، وأن يترفع عن داء الكبر.

٤ - جواز ضرب الأمثال، واستخدام الوسائل التي تعين على فهم مراد المتكلم.

٥ – كيفية شكر نعم الله ﷻ في الدنيا.

٦ – الصدقـة الخالصة لوجه الله تعالى بأي معروف وإن قلَّ تقي صاحبها من النار.

* * *

فضل الصيام

(١٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ ﷻ: الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَأَكْلَهُ وَشُرْبَهُ مِنْ أَجْلِي. وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ فَرْحَةٌ حِينَ يُفْطِرُ وَفَرْحَةٌ حِينَ يَلْقَى رَبَّهُ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾، حديث رقم: ٧٤٩٢.

- وعنه أيضًا، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَلا يَرْفُثْ وَلا يَجْهَلْ، وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ- مَرَّتَيْنِ، وَالذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ. يَتْرُكُ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، الصِّيَامُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا».

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، حديث رقم ١٧٩٥.

- وعَنْه أيضًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلاَّ الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ. وَلَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب اللباس، باب ما يذكر في المسك، حديث رقم: ٥٩٢٧.

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أيضًا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: قَالَ اللهُ ﷻ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلاَّ الصِّيَامَ، هُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ. فَوَالذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلْفَةُ فَمِ الصَّائِمِ، أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».

أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، حديث رقم: ٢٧٦٠.

- وفي رواية لمسلم أيضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قَالَ اللهُ ﷻ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَسْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ

أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ. وَالذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ».

- وفي رواية عنده: «قال: إذَا لَقِيَ اللهَ فَجَزَاهُ فَرِحَ».

- وعند الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ رَبَّكُمْ يَقُولُ: كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، وَالصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ. الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَإِنْ جَهِلَ عَلَى أَحَدِكُمْ جَاهِلٌ وَهُوَ صَائِمٌ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ».

أخرجه الترمذي في سُننه، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، حديث رقم: ٧٦٩.

- وعند النسائي: «قَالَ اللهُ ﷻ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ، هُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ. الصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ وَلا يَصْخَبْ، فَإِنْ شَاتَمَهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».

أخرجه النسائي في سُننه، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، حديث رقم: ٢٢١٧. وهناك بعض روايات للنسائي قريبة جدًّا مما ذكرنا هنا.

- وعند ابن ماجه: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ: الْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَى مَا شَاءَ اللهُ، يَقُولُ اللهُ: إِلاَّ الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».

أخرجه ابن ماجه في سُننه، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، حديث رقم: ١٦٣٨.

وأخرجه مختصرًا في كتاب الأدب، باب فضل العمل، حديث رقم: ٣٨٢٣.

(١٣) وعَنْ عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ ﷻ يَقُولُ: الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: حِينَ يُفْطِرُ، وَحِينَ يَلْقَى رَبَّهُ. وَالذي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».

أخرجه النسائي في سُننه، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، حديث رقم: ٢٢١١.

(١٤) وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِي ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ. وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ اللهَ فَجَزَاهُ فَرِحَ، وَالذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ، أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ».

أخرجه النسائي في سُننه، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، حديث رقم: ٢٢١٣.

الشرح والبيان:

الصيام ليس امتناعًا عن الطعام والشراب فقط بل وقاية وستر من اقتراف المعاصي؛ قال رسول الله ﷺ: «الصيام جُنّةٌ (بضم الجيم، وتشديد النون)، أي: وقاية وستر، أي: من المعاصي، لأنه يكسر الشهوة ويضعفها، وقيل: سترة من النار، وقد ورد ذلك في بعض الروايات عند الترمذي: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ» لأن النار محفوفة بالشهوات، وعند

النسائي في الكبرى: «الصيام جنة ما لم يخرقها»[1]، وعند الدارمي: «الصوم جنة ما لم يخرقها» قال أبو محمد الدارمي: يعني بالغيبة[2].

قال القسطلاني: وفيه تلازم الأمرين؛ لأنه إذا كف نفسه عن المعاصي في الدنيا كان له سترًا من النار في الآخرة، ومن ثمّ فالصائم لا يرفث: أي لا يقرب أهله برغم أنه حلٌ له. ولا يجهل: أي لا يفحش في الكلام، وذلك قوله ﷺ: «فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله»، أي: دفعه أو نازعه «فليقل: إني صائم مرتين»، يقول الزركشي رحمه الله: يقول مرة بقلبه ومرة بلسانه، فإذا قال بقلبه كف لسانه عن خصمه، وإذا قال بلسانه كف خصمه عنه.

ثم بيَّن رسول الله ﷺ أن رائحة فم الصائم المتغيرة بسبب الصيام أحب إلى الله تعالى من ريح المسك، وأقسم رسول الله ﷺ على ذلك فقال: «والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك».

(١) سُنن النسائي (حديث رقم ٢٢٣٣، ٢٢٣٥).
(٢) سُنن الدارمي (حديث رقم ١٧٧٣).

قال ابن حجر في الفتح: واختلف في كون الخلوف أطيب عند الله من ريح المسك، مع أنه ﷺ منزه عن استطابة الروائح، إذ ذاك من صفات المخلوقات؛ قال المازري: هو مجاز، والمعنى أنه أطيب عند الله من ريح المسك عندكم، أي: يقرب إليه أكثر من تقريب المسك إليكم، وقال النووي: حاصله حمل معنى الطيب على القبول والرضا، وقد نقل القاضي حسين في تعليقه: أن للطاعات يوم القيامة ريحًا تفوح. قال: فرائحة الصيام فيها بين العبادات كالمسك، يؤيد هذا قوله ﷺ في رواية مسلم «أطيب عند الله يوم القيامة».

ثم بين رسول الله ﷺ سبب ذلك نقلًا عن الله، يقول الله تعالى: (يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي)، أي شهوة الجماع لعطفها على الطعام والشراب، ويحتمل أن يكون من العام بعد الخاص.

ثم يقول الله: (الصيام لي وأنا أجزي به)، وقد اختلف العلماء في المراد من «الصيام لي»، مع أن الأعمال كلها له سبحانه وهو الذي يجزي بها، على أقوال:

أن الصوم لا يقع فيه الرياء كما يقع في غيره.

أن المراد: أنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته.

أنه أحبُّ العبادات إليّ والمقدم عندي، قال ابن عبد البر: كفى بقوله: (الصوم لي) فضلًا للصيام على سائر العبادات.

أن الاستغناء عن الطعام وغيره من الشهوات من صفات الرب جل جلاله، فلما تقرب الصائم إليه بما يوافق صفاته أضافه إليه.

أن جميع العبادات تُوفّى منها مظالم العباد إلا الصوم. روى البيهقي عن ابن عيينة قال: إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من سائر عمله، حتى لا يبقى إلا الصوم فيتحمل الله تعالى ما بقي عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة[1]، ويؤيده حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال ربكم: كل العمل كفارة إلا الصوم لي وأنا أجزي به»[2].

(١) شعب الإيمان (حديث رقم ٣٥٨٢).
(٢) مسند أحمد (حديث رقم ٩٨٨٨، ١٠٠٢٥).

وقد بين لنا رسول الله ﷺ أن الله يضاعف الحسنة بعشر أمثالها، وفضل الله واسع فالحسنات يضاعف الله جزاءها من عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصوم فلا يضاعف إلى هذا القدر، بل ثوابه لا يقدر قدره ولا يحصيه إلا الله تعالى.

ومما يؤخذ من الأحاديث:

١ - فضل عبادة الصيام.

٢ - كل عمل ابن آدم يجازى عليه الحسنة بعشر أمثالها إلا الصوم فالله يعطي أجره بغير حساب.

٣ - من سلم صيامه من المعاصي قوة وفعلًا دخل في قول الله تعالى على لسان رسول الله ﷺ: (الصيام لي وأنا أجزي به).

٤ - للصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بجزاء صومه.

٥ - الصوم وقاية وحماية من اقتراف الرذائل.

٦ - الإشارة إلى تحريم الوصال في الصوم، لاقتضاء الحديث كراهة تأخير الفطر فكيف بتركه.

* * *

فضل ذكر الله تعالى

(١٥) عَنْ أَنَسٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ: أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ ذَكَرَنِي يَوْمًا، أَوْ خَافَنِي فِي مَقَامٍ».

أخرجه الترمذي في سُننه، كتاب صفة جهنم عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء أن للنار نفسين، وما ذكر من يخرج من النار من أهل التوحيد، حديث رقم: ٢٥٩٤، وقال: حديث حسن غريب.

(١٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِي ﷺ: «يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾، وقوله جل

ذكـره: ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾، حديث رقم: ٦٩٧٠.

وأخرجه أيضًـا في كتاب التوحيد مختصرًا، باب قول الله تعالى: «يريدون أن يبدلوا كلام الله»، حديث رقم: ٧٠٦٦.

- وأخرجه مسـلم في صحيحه، بثلاث روايات عن أبي هريرة ﷺ:

الروايـة الأولى: قريبة في اللفظ مما ذكر البخاري هنا، ولم يختلـف إلا في قولـه: «وَأَنَا مَعَهُ حِـينَ يَذْكُـرُنِي، إِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِـهِ ذَكَرْتُـهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَـلإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلإٍ هُمْ خَيْرٌ مِنْهُمْ».

والروايـة الثانية: لم يذكر فيهـا: «وَإِنْ تَقَـرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا».

والروايـة الثالثة: فيهـا: «إِنَّ اللهَ قَـالَ: إِذَا تَلَقَّـانِي عَبْدِي بِشِبْرٍ تَلَقَّيْتُهُ بِذِرَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِذِرَاعٍ تَلَقَّيْتُهُ بِبَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِبَاعٍ أَتَيْتُهُ بِأَسْرَعَ».

صحيـح مسـلم، كتـاب الذكر والدعـاء والتوبـة، باب الحث على ذكر الله تعالى، حديث رقم: ٦٩٨٣.

– وعند مسلم عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أيضًا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي».

أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى، حديث رقم: ٢٦٧٥.

– وأخرجه الترمذي في سُننه، كتاب الزهد، باب ما جاء في حسن الظن بالله، حديث رقم: ٢٣٨٨، وقال: حسن صحيح.

– وفي رواية للترمذي أيضًا: «وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ شِبْرًا اقْتَرَبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَإِنِ اقْتَرَبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا اقْتَرَبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا...».

أخرجه الترمذي في سُننه، كتاب الدعوات، باب حسن الظن بالله ﷻ، حديث رقم: ٣٦٠٣، وقال: حديث حسن صحيح.

– وأخرجه ابن ماجه في سُننه، كتاب الأدب، باب فضل الذكر، حديث رقم: ٣٨٢٢، بلفظ: «أَنَا مَعَ عَبْدِي إِذَا هُوَ ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَتَاهُ».

الشرح والبيان:

الدار الآخرة إما جنة وإما نار، الجنة لمن أطاع الله ورسوله وعمل بما أمرا به، وانتهى عما نهيا عنه، والنار لمن عصى الله ورسوله، يقول رسول الله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ، إِلاَّ مَنْ أَبَى». قَالُوا: وَمَنْ يَأْبَى يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»[1].

والحديث الأول يبين فضل مقامين هما:

المقام الأول: ذكر الله ﷻ؛ فالإنسان الذي يذكر الله ﷻ مخلصًا له فضل ومنزلة عند ربه؛ لأن من ذكر الله ذكره الله لقول الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[2] وكما قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً

(١) صحيح البخاري (حديث رقم ٦٨٥١).
(٢) [سورة البقرة، الآية ١٥٢].

وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1]، ويقول رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الذي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالذي لا يَذْكُرُ مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»[2].

والمراد بالذكر هنا: الإتيان بالألفاظ التي أمر الشرع بها وورد الترغيب فيها، والإكثار منها بإخلاص ويقين وعمل، مثل الباقيات الصالحات وهي: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر) وما يلحق بها من الحوقلة: (لا حول ولا قوة إلا بالله)، والبسملة: (بسم الله الرحمن الرحيم)، والاستغفار: (أستغفر الله العظيم)؛ ونحو ذلك، ويطلق ذكر الله أيضًا ويراد به: المواظبة على العمل بما أوجبه الله، أو ندب إليه من الأعمال الصالحة.

ثم الذكر يقع تارة باللسان ويؤجر عليه الناطق، ويشترط ألا يقصد به غير معناه، وإن أضيف القلب إلى اللسان فهو أكمل، فإن انضاف إلى ذلك استحضار معنى الذكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالى، ونفي النقائص عنه ازداد كمالًا، وقال الفخر الرازي: المراد بذكر

(١) [سورة الأحزاب، الآية ٣٥].
(٢) صحيح البخاري (حديث رقم ٦٠٤٤).

اللسـان الألفاظ الدالـة على التسـبيح والتحميد والتكبير والتمجيد.

والذكر بالقلب: التفكـر في أدلة الذات والصفات، وفي أدلـة التكاليف من الأمر والنهي حتى يطّلع على أحكامها، والتفكر في أسرار مخلوقات الله ﷻ.

والذكـر بالجـوارح: أن تكـون مسـتغرقة في الطاعـات والعمل الصالح.

وقال بعض العارفين: الذكر سـبعة أنحـاء: ذكر العينين بالبـكاء، وذكـر الأذنـين بالإصغاء، وذكـر اللسـان بالثناء، وذكـر اليديـن بالعطاء، وذكـر البدن بالوفـاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضا.

ولا شـك أن ذكر الله تعالى بيقين وإخلاص يريح المسلم في دنيـاه وسـائر أعمالـه، فيظل لسـانه رطبًا بذكـر الله، فعَنْ عَبْـدِ الله بْـنِ بُسْرٍ ﷺ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُـولَ الله إِنَّ شَرَائِعَ الإِسْـلام قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ أَتَشَـبَّثُ بِهِ، قَالَ: «لا يَزَالُ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ الله»[1].

(١) سُنن الترمذي (حديث رقم ٣٣٧٥).

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ ﷻ إِلاَّ حَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[1].

المقام الثاني: الذي يقول فيه الله تعالى: «أو خافني في مقام». فخوف الله تعالى أحد الأسباب التي تخرج الإنسان من النار، والمراد بالخوف كفّ الجوارح عن المعاصي وتقييدها بالطاعات والأعمال الصالحة، وإلا فهو حديث نفس لا يستحق أن يسمى خوفًا.

وقد رأى بعض أهل التحقيق من أهل العلم أن أصح الآراء هو الاعتدال في الأمور، والاجتهاد في العبادة مع حسن الظن في الله تعالى، فقد أعلن رب العزة ﷻ في هذه الأحاديث أنه عند ظن العبد به واعتقاده فيه، فحين يعتقد العبد أن ربه تواب رحيم، غافر الذنب وقابل التوب، فإنه عندما يستغفر الله ﷻ ويتوب إليه يغفر الله تعالى له ويقبل توبته، كما أنه عندما يدعو الله وهو موقن بالإجابة يحقق

(١) صحيح مسلم (حديث رقم ٢٦٩٩).

رجاءه، ويكون الله حسبه وكافيه إذا طلب من ربه الكفاية واعتمد عليه، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾[1]، فالله عند ظن العبد به، بالرجاء والأمل في العفو.

ثم يوضح بعد ذلك أن الله مع العبد حين يذكره، ويكون معه بالرحمة والتوفيق والهداية والرعاية، ثم يُفَصِّل بعد ذلك معيته حين يذكره الإنسان فيقول: (إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي)، وعندئذ يكون للذاكر من الثواب والأجر ما لا يطلع عليه أحد، وكما قال الله تعالى في القرآن الكريم آمرًا عباده بذكره: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾[2].

ثم قال بعد ذلك: (وإن ذكرني في ملأٍ ذكرته في ملأٍ هم خير منهم)، حيث توضح الأحاديث بعد ذلك ثمرة تقرب الإنسان من ربه، وهي أن الله يقترب ممن يقترب منه، فمن تقرب إلى ربه ﷻ بالطاعة والعبادة، فسار بما أمر الله به،

(١) [سورة الطلاق، الآيتان ٢، ٣].
(٢) [سورة البقرة، الآية ١٥٢].

وانتهى عما نهى الله عنه، فإن الله تعالى حينئذ يتقرب إلى عبده بالرحمة والتوفيق وبالإعانة، فيعينه الله تعالى في كل أموره، وكلما ازداد العبد في الطاعة ازداد ربه في رحمته وتوفيقه، بل إن الله تعالى يوضح في النهاية أن رحمته بعباده المسارعين للطاعات والخيرات تكون أسبق إلى العباد.

(وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)، أي: إن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي أتيته هرولة، أي: صببت عليه الرحمة وسبقته بها، ولم أحوجه إلى المشي الكثير في الوصول إلى المقصود.

وفي رواية أخرى في صحيح مسلم يقول الرسول صلوات الله وسلامه عليه إن الله ﷻ قال: «إِذَا تَلَقَّانِي عَبْدِي بِشِبْرٍ تَلَقَّيْتُهُ بِذِرَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِذِرَاعٍ تَلَقَّيْتُهُ بِبَاعٍ، وَإِذَا تَلَقَّانِي بِبَاعٍ أَتَيْتُهُ بِأُسْرَعَ»، وفي كل هذا ما يدل على حب الله تعالى لعباده الذاكرين الذين يسرعون بطاعته ويسارعون في الخيرات، ولا يتكاسلون ولا يؤجلون التوبة والطاعة، لأن في سرعة الطاعة وفي الزيادة منها زيادة قرب من الله ﷻ، ودلالة على إخلاص الإنسان لله تعالى في هذه الطاعة.

ومما يؤخذ من الأحاديث:

١ - فضيلة ذكر الله ﷻ والخوف من سخطه، وحسن الظن به، فهو سبب النجاة من النار.

٢ - ذكر الله يكون بإخلاص القلب والمواظبة على العمل بما أوجبه الله، أو ندب إليه من الأعمال الصالحة.

٣ - فضيلة الصدق والإخلاص في الذكر مع عمل الصالحات.

٤ - ضرورة كف الجوارح عن المعاصي وتقييدها بالطاعة.

٥ - فضل ترجية الناس بذكر أحاديث الرجاء وصالح الأعمال، قال المعتمر لابنه: يا بني حدثني بالرخص لعلي ألقى الله وأنا أحسن الظن به. وروي مثل ذلك عن ابن حنبل، ثم إن الرجاء يجلب محبة الله تعالى التي هي غاية السعادة، ومن أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

٦ - من ثمرات ذكر الله رحمة الله للذاكر وتوفيقه، فكلما ازداد العبد في عبادته ازداد فضل الله عليه ورحمته به، بل كان فضل الله إليه أسرع.

فضل القرآن على سائر الكلام

(١٧) عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَقُولُ الرَّبُّ ﷻ: مَنْ شَغَلَهُ الْقُرْآنُ وَذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ، وَفَضْلُ كَلامِ الله عَلَى سَائِرِ الْكَلامِ كَفَضْلِ الله عَلَى خَلْقِهِ».

أخرجه الترمذي في سُننه، كتاب فضائل القرآن، باب رقم (٢٥) وهو بدون عنوان، حديث رقم: ٢٩٢٦. قَالَ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

الشرح والبيان:

في الحديث بيان أن من شغله حفظ القرآن وعلم مبانيه وتدبر معانيه والعمل بما فيه عن ذكري ومسألتي أعطيته -أي بسبب ذلك- أفضل ما أعطي السائلين، وشغل القرآن تدبره والقيام بموجباته من إقامة فرائضه والاجتناب عن محارمه، فإن الرجل إذا أطاع الله ذكره.

(وفضل كلام الله) أي شرفه باعتبار مدلوله (على سائر الكلام كفضل الله على خلقه) أي وكذلك فضل الاشتغال والمشتغل به على غيره، وكان وجه الاستغناء عن ذكر الذاكرين بذكر السائلين أنهم من جملتهم من حيث إنهم سائرين بالفعل أو القوة، إذ لسان حال كل مخلوقٍ ناطقٍ بالافتقار إلى نعم الحق وإمداده بعد إيجاده.

وقال الأحوذي في بيان معنى الحديث: أي من اشتغل بقراءة القرآن ولم يفرغ إلى ذكرٍ ودعاءٍ أعطى الله مقصوده ومراده أكثر وأحسن مما يعطي للذين يطلبون حوائجهم.

ومما يؤخذ من الأحاديث:

١ - فضل المحافظة على قراءة القرآن الكريم وتدبره والعمل به، فهو أفضل الذكر.

٢ - ثواب الانشغال عن السؤال بالقرآن تعلمًا وتدبرًا وعملًا عطاء وفير من الله تعالى بأفضل مما يعطي السائلين.

* * *

فضل الصلاة والتسليم على النبي ﷺ

(١٨) عَنْ أَبِي طَلْحَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالْبُشْرَى[1] فِي وَجْهِهِ فَقُلْنَا: إِنَّا لَنَرَى الْبُشْرَى فِي وَجْهِكَ. فَقَالَ: «إِنَّهُ أَتَانِي الْمَلَكُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: أَمَا يُرْضِيكَ أَنَّهُ لا يُصَلِي عَلَيْكَ أَحَدٌ إِلاَّ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ إِلاَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا».

أخرجه النسائي في سُننه كتاب السهو، باب فضل التسليم على النبي ﷺ: حديث رقم: ١٢٨٣.

الشرح والبيان:

في هذا الحديث القدسي المبارك يرغب ربنا تبارك وتعالى في الصلاة والسلام على معلم الناس الخير سيدنا محمد ﷺ،

(١) الْبُشْرَى (بضم فسكون، فُعْلى): اسم من الاستبشار، يقال: بَشَر بكذا يَبْشُرُ، مثل: فرح يَفْرَح وزنًا ومعنًى، وهو الاستبشار أيضًا، والبِشارة (بكسر الباء، والضمّ) لغةٌ، وإذا أطلقت اختَصت بالخير، والبِشْرُ (بالكسر): طَلاقة الوجه.

لقد دخل رسول الله ﷺ على أصحابه المسجد ذات يوم فرأوا في تقاسيم وجهه علامات السرور والرضا، وكان من دأبهم وعادتهم أنهم يتأملون وجه رسول الله ﷺ في وقت الغضب والرضا، فلما رأوا في وجه رسول الله ﷺ الفرح والسرور سألوه ماذا حدث؟ وما الذي جعلك مسرورًا حتى نُسَرّ بسرورك، فأخبرهم أن جبريل أتاه من رب العزة جل جلاله فأخبره بأن الله ﷻ حريص على رضاه ﷺ.

والرضا حين يكون من الله لعبده: أن يراه ممتثلًا لأمره منتهيًا عن نهيه، أما رضا العبد عن الله تعالى فمعناه: ألَّا يكره ما يجري به قضاؤه.

ومنزلة الرضا أشرف المنازل بعد النبوة، فمن رَضِي عن الله فقد رضي الله لقول الله ﷻ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾[1].

ومن مظاهر رضا الرسول ﷺ أننا نصلي ونسلم عليه ﷺ، والمقصود بالصلاة على النبي ﷺ: التقرب إلى الله بامتثال أمره وقضاء حق النبي ﷺ علينا، وليست صلاتنا عليه شفاعة

(١) [سورة المائدة، الآية ١١٩].

له، فإن مثلنا لا يشفع لمثله، ولكن الله ﷻ أمرنا بأن نكافئ من أحسن إلينا، فإن عجزنا كافأناه بالدعاء، فأرشدنا ربنا لما علم عجزنا وضعفنا عن مكافأة نبينا إلى الصلاة عليه، وكيف لا يصلَّى عليه ويُدْعَى له وهو الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهدى، ومن الفرقة إلى الاجتماع؟

وقال ابن العربي: فائدة الصلاة عليه ترجع إلى الذي يصلي عليه، لدلالة ذلك على نصوح العقيدة، وخلوص النية، وإظهار المحبة والمداومة والاحترام للوساطة الكريمة معه ﷺ.

وقال الطيبي رحمه الله تعالى: هذا بعض ما أُعطي النبي ﷺ من الرضا في قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾[1]، وهذه البشارة في الحقيقة راجعة إلى الأمة، ومن ثَمَّ تمكّن البِشرُ في أسارير وجهه صلوات الله وسلامه عليه، حيث جُعل وجهُهُ ظرفًا ومكانًا للبشر والطلاقة.

(١) [سورة الضحى، الآية ٥].

وعند الطبراني (وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ أَنَا ومَلائِكَتِي عَشْرًا)[1] فيه دليل على أن السلام على النبي ﷺ مثل الصلاة عليه؛ لأن الله ﷻ يسلّم عشرًا على من سلّم عليه كما يُصلّي على من صلّى عليه عشرًا. زاد أحمد وابن أبي شيبة والدارمي (فقال- أي: النبي ﷺ: بلى)[2].

وقد جاء في فَضْل الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أحاديث كثيرة، نذكر منها بعض ما هو موجود بالكتب الستة:

١ - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى الله عَلَيْهِ عَشْرًا»[3].

٢ - عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً وَاحِدَةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحُطَّتْ عَنْهُ عَشْرُ خَطِيئَاتٍ، وَرُفِعَتْ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ»[4].

---

(١) المعجم الكبير (حديث رقم ٤٧١٨).

(٢) مسند أحمد (حديث رقم ١٦٣٦٣)، ومصنف ابن أبي شيبة (حديث رقم ٨٦٩٥)، وسُنن الدارمي (حديث رقم ٢٨١٥).

(٣) صحيح مسلم (٤٠٨)، وسُنن أبي داود (حديث رقم ١٥٣٠)، والترمذى (٤٨٥)، والنسائي (١٢٩٦).

(٤) سُنن النسائي (حديث رقم ١٢٩٧).

٣ – وعَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ، عَنْ أَبِيهِ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصَلِي عَلَيَّ إِلَّا صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيُقِلَّ الْعَبْدُ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ»(١).

٤ – وعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ اذْكُرُوا اللهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ»، قَالَ أُبَيٌّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ». قَالَ: قُلْتُ: الرُّبُعَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: النِّصْفَ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قَالَ: قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ، قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا قَالَ: «إِذًا تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ»(٢).

٥ – وعَنْ عَبْدِ الله بن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ لله مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»(٣).

---

(١) سُنن ابن ماجه (حديث رقم ٩٠٧).
(٢) سُنن الترمذي (حديث رقم ٢٤٥٧)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ.
(٣) سُنن النسائي (حديث رقم ١٢٨٢).

٦ - وعن حسين بن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «البَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»(١).

٧ - وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ، خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ»(٢).

٨ - وعَنْ عَبْدِ الله ﷺ قَالَ: كُنْتُ أُصَلِي وَالنَّبِي ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ مَعَهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَدَأْتُ بِالثَّنَاءِ عَلَى الله، ثُمَّ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ دَعَوْتُ لِنَفْسِي، فَقَالَ النَّبِي ﷺ: «سَلْ تُعْطَهْ، سَلْ تُعْطَهْ»(٣).

٩ - وعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ، حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ»(٤).

ومما يؤخذ من الحديث:

١ - الحث على الصلاة والسلام على المصطفى ﷺ، والتعظيم له ﷺ، والإجلال لمنزلته.

(١) سُنن الترمذي (حديث رقم ٣٥٤٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.
(٢) سُنن ابن ماجه (حديث رقم ٩٠٨).
(٣) سُنن الترمذي (حديث رقم ٥٩٣)، وقال: حَسَنٌ صَحِيحٌ.
(٤) سُنن الترمذي (حديث رقم ٤٨٦).

٢ - استحباب الفرح بفضل الله تعالى، وظهورُ الاستبشار على الوجه، يقول الله جلّ ذكره: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾[1].

٣ - بيان ما مَنّ الله ﷻ به على هذه الأمة من عظيم الفضل بصلاتها وسلامها على حبيبه الأعظم ﷺ، حيث جعل جزاء صلاة واحدة عشر صلوات، وجزاء تسليم واحد عليه عشر تسليمات.

٤ - تمام عناية الله ﷻ بحبيبه محمد ﷺ حيث يُرضيه بهذه البشارة العظيمة، والمنة العظيمة.

٥ -حب النبي ﷺ لأمته وحرصه عليها، وفرحه بما ينفعها، حيث استبشر وتهلل بفضل وثواب صلاتهم عليه، وهم المستفيدون من ذلك.

* * *

(١) [سورة يونس، الآية ٥٨].

صلة الرحم

(١٩) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَلَقَ اللهُ الْخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَ: مَهْ[١]. قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ[٢] بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. فَقَالَ: أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَذَلِكِ لَكِ». ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾[٣].

أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[٤]، حديث رقم: ٧٥٠٢.

---

(١) مه: اسم فعل أمر، بمعنى: اكفف.

(٢) العائذ بك: أي المستجير بك، أو الملتجئ إليك، أو المعتصم بك، وأصل العائذ: المستعيذ، وهو المعتصم بالشيء.

(٣) [سورة محمد، الآية ٢٢].

(٤) [سورة الفتح، الآية ١٥].

– وفي لفظ آخر عنده: قال أَبو هُرَيْرَة ﷺ: ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ ﴾.

– وعنده أيضًا بلفظ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ، حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ، قَالَتِ الرَّحِمُ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِكَ مِنَ الْقَطِيعَةِ. قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَهْوَ لَكِ». قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾[1].

صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله، حديث رقم: ٥٩٨٧.

– وأخرجه البخاري في صحيحه أيضًا، كتاب التوحيد بنحو حديث كتاب التفسير، باب تفسير سورة (ص)، حديث رقم: ٤٨٣٠.

– وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، حديث رقم: ٢٥٥٤،

(١) [سورة محمد، الآية ٢٢].

بلفظ الأحاديث السابقة. ولكن قرأ الرسول ﷺ من أول: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[1].

(٢٠) وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ: أَنَا الرَّحْمَنُ، وَهِيَ الرَّحِمُ، شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنَ اسْمِي، مَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ».

أخرجه أبو داود في سُننه، كتاب الزكاة، باب في صلة الرحم، حديث رقم: ١٦٩٤.

- وعند الترمذي بلفظ: «قَالَ اللهُ: أَنَا اللهُ وَأَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنَ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ».

أخرجه الترمذي في سُننه، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في قطيعة الرحم، حديث رقم: ٢٠٣١، وقال: حديث صحيح.

الشرح والبيان:

قضية هذه الأحاديث هي الدعوة إلى صلة الأرحام،

(١) [سورة محمد، الآيات ٢٢ - ٢٤].

ووصل ما بيننا وبينهم، فنعطف عليهم ما وجدنا لذلك سبيلًا؛ ولا شك أن الإسلام حريص أشد الحرص على توثيق عُرَى المودة والمحبة بين بني البشر عمومًا، وذوي القرابة على وجه الخصوص.

وفي القرآن الكريم والسنة النبوية دعوة صريحة إلى صلة الرحم، ومعرفة حق القرابة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾[2]، وقال ﷻ: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾[3].

(١) [سورة النساء، الآية ١].
(٢) [سورة الإسراء، الآيتان ٢٦، ٢٧].
(٣) [سورة النساء، الآية ٣٦].

ونعى الله ﷻ على من يقطع رحمه، وقرنه بالمفسدين في الأرض، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ﴾[1].

إلى غير ذلك من الآيات التي يضيق المقام عن حصرها، فإذا ما يَمَّمْت وجهك شطر السنة النبوية وجدت الكثير من الأحاديث تحث على صلة الأرحام، ومعرفة حق الأقارب، ومن ذلك:

- عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، وَيُوسَّعَ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[2]، وفي رواية: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُمَدَّ لَهُ فِي عُمْرِهِ وَيُزَادَ لَهُ فِي رِزْقِهِ فَلْيَبَرَّ وَالِدَيْهِ وَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[3].

- عن درة بنت أبي لهب ﷺ قالت: قلت: يا رسول الله، أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ لله ﷻ، وَأَوْصَلُهُمْ لِرَحِمِهِ، وَآمَرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ، وَأَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ»[4].

(١) [سورة محمد، الآيتان ٢٢، ٢٣].
(٢) صحيح البخاري (حديث رقم ١٩٦١، ٥٦٣٩)، وصحيح مسلم (حديث رقم ٢٥٥٧).
(٣) مسند أحمد (حديث رقم ١٣٨١١).
(٤) الآحاد والمثاني (حديث رقم ٣١٦٧).

- قال أبو ذرٍّ ﷺ: "أَوْصَانِي حِبِّي ﷺ بِخَمْسٍ... وَأَنْ أَصِلَ الرَّحِمَ وَإِنْ أَدْبَرَتْ، وَأَنْ أَقُولَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا..."[1].

- واعتبر النبي ﷺ الصدقة على ذي الرحم مضاعفة في الأجر والثواب، فعن سَلْمَانَ بْنِ عَامِرٍ يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «... الصَّدَقَةُ عَلَى الْمِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ»[2].

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرِ». وَمَعْنَى قَوْلِهِ: «مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرِ». يَعْنِي: زِيَادَةً فِي الْعُمُرِ[3].

- وعن أَبِي أَيُّوبَ ﷺ أَنَّ أَعْرَابِيًّا عَرَضَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ فِي سَفَرٍ فَأَخَذَ بِخِطَامِ نَاقَتِهِ، أَوْ بِزِمَامِهَا، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ -أَوْ يَا مُحَمَّدُ أَخْبِرْنِي بِمَا يُقَرِّبُنِي مِنَ الْجَنَّةِ وَمَا يُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ، قَالَ: فَكَفَّ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ نَظَرَ فِي أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ:

(١) مسند أحمد (حديث رقم ٢١٥١٧).
(٢) سُنن الترمذي (حديث رقم ٦٥٨)، وسُنن النسائي (حديث رقم ٢٥٨٢).
(٣) سُنن الترمذي (حديث رقم ١٩٧٩).

«لَقَدْ وُفِّقَ -أَوْ لَقَدْ هُدِيَ- قَالَ: كَيْفَ قُلْتَ؟». قَالَ: فَأَعَادَ. فَقَالَ النَّبِي ﷺ: «تَعْبُدُ اللهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِم، دَعِ النَّاقَةَ»[1].

والمراد بالرحم التي أمرنا الله بوصلها: كل ذي قرابة من جهة الأب أو الأم، أو كما يقال: كل من يجمع بينك وبينه نسب، ويطلق لفظ الأرحام في الفرائض على الأقارب من جهة النساء، يقال: ذو رحم مَحْرَم ومحرّم، وهم كل من لا يحل نكاحه كالأم والبنت والأخت والعمة والخالة.

والرحم إذا وصفت بها الأرحام فهي من الرحمة وتنطوي على معنيين هما الرقة والإحسان، فركز الله في طبائع خلقه الرقة، وتفرد هو بالإحسان، كما أن لفظ الرحم من الرحمة، فمعناه الموجود في الناس من المعنى الموجود لله تعالى، فتناسب معناهما تناسب لفظهما، يعني أن الرحمة والرحم من وادٍ واحد، لكن إذا صدرت الرحمة من الله فهي إنعام وإفضال، وإن صدرت من الآدميين فهي رقة وتعطّف.

(١) صحيح مسلم (حديث رقم ١٣).

قال العلماء: إن الرحم مشتقة من الرحمة، وهي عَرَضٌ جعلت في جسم، قال القاضي عياض: واختلف في الرحم التي يجب صلتها، والصواب أنها كل رحم ممن يطلق عليها ذلك من ذوي الأرحام في المواريث محرمًا كان أو غيره؛ لقوله ﷺ في أهل مصر: «فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا»(١). وقوله: «إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ صِلَةُ الْوَلَدِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ»(٢).

وحقيقة الصلة للرحم تقتضي العطف عليهم والرحمة بهم، ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة، وقطعها يُعد من الكبائر، ولكن الصلة درجات: فصلة الأصول -الأب والأم- آكد من صلة غيرهما، وهكذا التدرج في درجات القربى، وبعض أنواع الصلة أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة، وصلتها بالكلام ولو بالسلام، ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجب، ومنها مستحب، ولو وصل بعض الصلة دون غايتها لا يسمى قاطع رحم؛ وقد بين ذلك قوله عليه السلام: "صِلُوا أَرْحَامَكُم ولَو بِالسَّلامِ" (٣)، فأعلم أمته أن المتعاهد

(١) صحيح مسلم (حديث رقم ٢٥٤٣).
(٢) صحيح مسلم (حديث رقم ٢٥٥٢).
(٣) انظر: شعب الإيمان للبيهقي (٧٦٠٢، ٧٦٠٤)، ومسند الشهاب للقضاعي (حديث رقم ٦٥٣).

لرحمه ولو بالسلام خارج من معنى القاطع، وداخل في معنى الواصل.

ونظرًا لخطورة قطيعة الرحم استجارت بالله واستغاثت به قائلة له: (هذا مقام العائذ بك) أي: المستجير بك، تطلب من ربها حمايتها من القطيعة لها والإساءة إليها، فاستجاب الله لها، ولبَّى طلبها، وقال لها: قد أجرتك وقضيت قضائي أن أصل من وصلك، والوصل من الله كناية عن عظيم إحسانه، وهو خطاب للناس بما يفهمون؛ لأن أعظم ما يعطيه المحب للمحبوب هو الوصال، و القُرْب منه، وإسعافه بما يريد.

ولصلة الرحم فوائد وآثار أشارت إليها السنة منها:

١ – أن يوسع للإنسان في رزقه؛ فيكثر ويبارك له فيه.

٢ – أن يطول عمره، وليس المراد الزيادة الزمنية، بل المراد البركة في العمر، بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه في الآخرة، وصيانته عن تضييعه في غير ذلك.

ومما يؤخذ من الأحاديث:

١ – أن صلة الرحم واجبة، وقطيعتها تعد من الكبائر.

٢ – الوعد لواصل الرحم بالبركة في الرزق، والبركة في العمر، والبركة في العمل الصالح.

٣ - جـواز الاسـتدلال بالقرآن لتأكيد ما ورد في السـنة النبوية.

٤ - حـرص الإسـلام على توثيـق عُرَى المـودة والمحبة بـين بنـي البـشر عمومًـا، وذوي القرابـة على وجه الخصوص.

* * *

مَنْ يحبهم الله ﷻ

(٢١) عن أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللهُ[١]، وَثَلاثَةٌ يُبْغِضُهُمُ اللهُ، فَأَمَّا الَّذِينَ يُحِبُّهُمُ اللهُ: فَرَجُلٌ[٢] أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمْ بِاللهِ[٣] وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ بِقَرَابَةٍ[٤] بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَمَنَعُوهُ[٥]، فَتَخَلَّفَ رَجُلٌ بِأَعْيَانِهِمْ[٦] فَأَعْطَاهُ سِرًّا لا يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلاَّ اللهُ وَالَّذِي أَعْطَاهُ[٧]. وَقَوْمٌ[٨] سَارُوا لَيْلَتَهُمْ حَتَّى

(١) ثلاثة يحبهم الله: أي: أكثر من غيرهم.

(٢) فأما الذين يحبهم الله فرجل: ظاهره أن السائل أحد الثلاثة الذين يحبهم الله، وليس كذلك بل مُعطيه، فلا بد من تقدير مضاف أي: فأحدهم مُعطي رجل.

(٣) أتى قومًا فسألهم بالله: أي مستعطفًا بالله قائلاً: أنشدكم بالله أعطوني.

(٤) ولم يسألهم بقرابة: أي ولم يقل أسألكم أو أعطوني بحق قرابة بيني وبينكم.

(٥) فمنعوه: أي منعوا الرجل العطاء.

(٦) فتخلف رجل بأعيانهم: قال القاري: الباء للتعدية، أي بأشخاصهم. وقيل: أي تأخر رجل من بينهم إلى جانب حتى لا يروه بأعيانهم من أشخاصهم. وقيل: تأخر واستتر من بينهم إلى جانبٍ حتى لا يَرَوه، ثم أعطى الفقيرَ سرًّا. وفي بعض النسخ «بأعقابهم»، وستأتي في رواية النسائي.

(٧) لا يعلم بعطيته إلا الله والذي أعطاه: تقرير لمعنى السر. وإنما أحبه الله؛ لأنه عظَّم اسم الله تعالى، وتصدق سرًّا، فحصل له فضيلتان، ولأنه خالف أصحابه حيث اجترؤوا ولم يعظِّموا اسم الله تعالى، ولم يعطوا السائل شيئًا.

(٨) وقوم: أي الثاني عابد قوم أو قائم قوم أو قارئ قوم.

إِذَا كَانَ النَّـوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِـمْ[١] مِمَّا يُعْدَلُ بِـهِ[٢] نَزَلُوا فَوَضَعُوا رُءُوسَـهُمْ[٣]، فَقَـامَ أَحَدُهُـمْ يَتَمَلَّقُنِـي[٤] وَيَتْلُـو آيَـاتِي[٥]. وَرَجُـلٌ[٦] كَانَ فِي سَـرِيَّةٍ فَلَقِـيَ العَـدُوَّ فَهُزِمُـوا[٧] وَأَقْبَـلَ بِصَـدْرِهِ[٨] حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يُفْتَحَ لَهُ[٩]. وَالثَّلاثَةُ الَّذِينَ يُبْغِضُهُمُ اللهُ: الشَّيْخُ الزَّانِي، وَالفَقِيرُ المُخْتَالُ، وَالغَنِيُّ الظَّلُومُ».

أخرجه الترمذي في سُـننه، كتـاب صفة الجنة، باب رقم (٢٥) بـدون عنـوان، حديـث رقـم: ٢٥٦٨. وقـال: هـذا حديث صحيح.

---

(١) أحب إليهم: أي ألذ وأطيب.

(٢) مما يُعدل به (على بناء المفعول): مما يقابل بالنوم؛ يعني: غلب عليهم النوم حتى صار النومُ أحبَّ إليهم من كل شيء يعطونه في مقابلة النوم.

(٣) فوضعوا رءوسهم: فناموا. وفي رواية (نزلوا فوضعوا رءوسهم)، ولا ارتياب أن سيرهم ذلك وإدلاجهم كان للفوز بمطلوب خطير، فاستأثر لذلك الرقاد على الهجود، فبلغ الأمر إلى أن رجحوا جانب النوم على ما استأثروا عليه.

(٤) يتملقني: هذا على حكاية كلام الله تعالى في شأن ذلك الرجل لا على الالتفات. والملق (بفتحتين) الزيادة في التودّد، والدعاء والتضرع أي: يتواضع لديّ ويتضرع إليّ ويبكي من خشيتي.

(٥) يتلو آياتي: يقرأ ألفاظها ويتبعها بالتأمل في معانيها.

(٦) رجل: أي والثالث رجل كان في سرية.

(٧) فلقي العدو فهزموا: أي هزم الكفار أصحابه (فأقبل بصدره) أي على القتال يقاتل حتى ينتصر أو يقتل، خلاف من وَلَّى دُبُره بتولية ظهره.

(٨) بصدره: تأكيد الإقبال؛ فإنه لا يكون إلا بالصدر. وقيل: هذا أبلغ في الإقبال والجرأة من أن يقابل بوجهه.

(٩) حتى يقتل أو يفتح له: على بناء المفعول فيهما، أي: حتى يفوز بإحدى الحسنيين، وفي رواية النسائي: (حتى يقتل أو يفتح الله له).

– وعن أبي ذر ﷺ أيضًا عن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللهُ ﷻ وَثَلَاثَةٌ يَبْغُضُهُمُ اللهُ ﷻ. أَمَّا الَّذِينَ يُحِبُّهُمُ اللهُ ﷻ: فَرَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمْ بِاللهِ ﷻ وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ بِقَرَابَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، فَمَنَعُوهُ، فَتَخَلَّفَهُ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلَّا اللهُ ﷻ وَالَّذِي أَعْطَاهُ. وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَتَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعْدَلُ بِهِ، نَزَلُوا فَوَضَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَقَامَ يَتَمَلَّقُنِي، وَيَتْلُو آيَاتِي. وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ فَلَقُوا الْعَدُوَّ فَهُزِمُوا، فَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يَفْتَحَ اللهُ لَهُ. وَالثَّلَاثَةُ الَّذِينَ يَبْغُضُهُمُ اللهُ ﷻ: الشَّيْخُ الزَّانِي، وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ، وَالْغَنِيُّ الظَّلُومُ».

أخرجه النسائي في سُننه، كتاب الزكاة، باب ثواب من يعطي، حديث: رقم ٢٥٧٠.

– وعنده أيضًا بلفظ: «ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللهُ ﷻ: رَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمْ بِاللهِ وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ بِقَرَابَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَمَنَعُوهُ، فَتَخَلَّفَهُمْ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا لا يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلاَّ اللهُ ﷻ وَالذي أَعْطَاهُ، وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَتَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعْدَلُ بِهِ نَزَلُوا فَوَضَعُوا رُءُوسَهُمْ،

فَقَامَ يَتَمَلَّقُنِي وَيَتْلُو آيَاتِي، وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ فَلَقُوا الْعَدُوَّ فَانْهَزَمُوا فَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يُفْتَحَ لَهُ».

سُنن النسائي، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، باب فضل صلاة الليل في السفر، حديث رقم: ١٦١٥.

الشرح والبيان:

في هذا الحديث القدسي يخبرنا سيد الخلق ومعلم الإنسانية عن رب العزة والجلال أن هناك ثلاثة أصناف من البشر يحبهم الله ﷻ؛ وثلاثة آخرون يبغضهم ربنا ﷻ، وإذا أحب الله ﷻ عبدًا نادى جبريل في السماء: إن الله يحب فلانًا فأحبوه، فيوضع له القبول في الأرض، وإذا غضب الله على عبد نادى جبريل في السماء: إنه يبغض فلانًا فأبغضوه فيكرهه أهل الأرض.

وهؤلاء الذين أحبهم الله ﷻ وقبل عملهم:

أحدهم: ذاك الرجل الذي أعطى المحتاج حاجته في السر، حيث إن السائل تقدم إلى جماعة من الناس ينشدهم بالله ﷻ؛ لأنه في أمَسِّ الحاجة إلى المعونة ولم يسألهم بقرابة بينه وبينهم، بل سألهم بالله الذي ينبغي أن يجاب إلى طلبه

ولكن القوم رفضوا إعطاء سؤله.

وكان في القوم رجل شاهَدَ هذا الرفض، فعزّ عليه أن يُمنع الرجل سؤله، خاصة أنه استحلفهم بالله ﷻ، فتسلل من وسطهم دون أن يعرفوا قصده ومراده، فتعقَّب الرجل، وأخرج من ثوبه بعض نقوده وأعطاها للسائل سرًّا، ولم يعلم بعطائه هذا سوى الله ﷻ والسائل، فحمد الله ﷻ لهذا الرجل صنيعه. وقد ورد في الحديث الصحيح: «سبعة يظلهم الله في ظله... ومنهم: ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه»[1].

ثانيهم: ذاك الرجل الذي كان في قوم سراة بالليل يجدُّون في السير يقاومون النوم، ويرغبون في أن تستريح أبدانهم من وعثاء السفر، حتى إن النوم أحب إليهم من كل شيء، فناموا، ولكن واحدًا منهم قام -وهم نائمون- يصلي ويتضرع ويتودد إلى الله ﷻ، داعيًا الله ﷻ سائلًا المغفرة والرضوان، إنها مناجاة ليلية بين محب ومحبوب، من خلال تلاوته للقرآن وتأمله في معانيه، ناسيًا أو متناسيًا تعبه ورغبته في النعاس.

(١) () صحيح البخاري: كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، (حديث رقم ١٤٢٣).

واستمع إلى قول الله ﷻ في وصف المتقين: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾[1]، وقول الله ﷻ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[2].

ثالثهم: رجل كان في قوم غزاة، يجاهدون في سبيل الله، يدفعون العدوان عن ديارهم وبذلوا قصارى جهدهم، ولكن العدو كان أشد منهم قوة وأكثر عددًا وعدة، فهزمهم وأحاط بهم اليأس وولّوا مدبرين، ولكن واحدًا منهم أوتي شجاعة وقوة وإيمان، فاتجه صوب العدو يقاتل قتالًا شديدًا، طمعًا في أن ينال إحدى الحسنيين: إما النصر وإما الشهادة؛ فحمد الله له هذا الفعل وأحبه، ورزق الملأ الأعلى حبه.

هذه الأصناف الثلاثة المتمثلة في الرجال الثلاثة الذين سبق الحديث عنهم، وكل واحد منهم قدم عملًا صالحًا في وقت الشدة؛ نظرًا لحبهم الشديد لله ﷻ، فبادلهم الله حُبًّا بحُبٍّ، ومحبة الله لعبده تقتضي رضوانه ومغفرته ودخوله الجنة.

(١) [سورة الذاريات، الآية ١٧].
(٢) [سورة السجدة، الآية ١٦].

أما الأصناف الثلاثة الذين يبغضهم الله ويكرههم، ويعرض عنهم يوم القيامة:

الأول: الرجل المسن الزاني، أي الذي بلغ سن الشيخوخة وتقدم به العمر إذا ارتكب جريمة الزنا، ومثله المرأة إذا زنت، فإن معصية هذا الشيخ الكبير تفوق معصية الزنا من الشباب.

الثاني: الفقير المستكبر، إذ هو في حاجة إلى الناس، فلماذا الاستكبار واحتقار الآخرين؟! اللهم أنه العناد والاستخفاف بحق الله ﷻ.

الثالث: الغني الظلوم، ذاك الرجل كان الأحرى به أن يكون متصدقًا منفقًا على عباد الله؛ لأن المال مال الله، والإنسان مستخلف في هذا المال، فلا يضن به على أحد، ولا يظلم بسببه خلق الله، ولا يماطل في أداء حقوق العباد، وعليه أن يتجاوز عن المعسر، وينظر الموسر.

وتخصيصه ﷺ هؤلاء الثلاثة بالوعيد المذكور سببه: أن كل واحد منهم التزم المعصية المذكورة مع بعدها منه، وعدم ضرورته إليها، وضعف دواعيها عنده، فأشبه إقدامهم عليها المعاندة والاستخفاف بحق الله تعالى، وقصد معصيته.

وأول الحديث يرشد إلى أنه قول النبي ﷺ، وآخره وهو قوله: (قام يتملقني) يؤذن بأنه من كلام الله تعالى، ولا شك أن هـذا المقام مقـام مناجاة بـين العبد ومـولاه، وفي التملق نـوع دلال ومناجاة بين المحـب والمحبوب، فلا بد أن يجري بينهـما أسرار، فحكـى الله تعالى لنبيه ما جـرى بين الله تعالى وبـين عبده، ثم إن رسـول الله ﷺ حكى قـول الله تعالى وما تلفظ به لا معناه، إذ لو أراد المعنى لقال: قام يتملق الله ويتلو آياتـه. وليس هذا من الالتفات في شيء، وفي كل واحدة من الفقـرات الثلاث تتميـمات ينتهي إليها المعنـى إلى النهاية في بابـه، ففـي إعطاء الرجل السـائل بعـد منع القوم إيـاه غاية في الإخـلاص والجـود، وفي قيـام الرجل من بـين القوم مع محبـة النوم غاية في طلـب القُرْب والزلفى من الله تعالى، وفي اسـتقبال الرجل العدو من بين المنهزمين، ثم إقدامه بصدره غاية في الجرأة، وبذل النفس في سبيل الله تعالى.

ومما يؤخذ من الحديث:

١ - فضل الصدقة الخفية.

٢ - فضل قيام الليل.

٣ - فضل الإقدام في الجهاد.

٤ – حرمة الزنا عند الله تعالى، وحرمته على الشيخ الكبير أشد.

٥ – الخيلاء مذمومة من كل أحد، ومن الفقير أذم.

٦ – مطل الغني ظلم.

٧ – فضل إخلاص العمل لوجه الله ﷻ.

* * *

الموضوع

تقديم	٥
مقدمة	٧
فضل «لا إله إلَّا الله»	١٧
الصبر على الطاعات وصالح الأعمال طريق إلى الجنة	٣٣
إحلال الرضوان على أهل الجنة	٣٩
حديث الإسراء والمعراج وفرض الصلوات	٤٣
فضل المحافظة على الصلوات الخمس	٥٧
فضل صلاة الضحى	٦٣
فضل الإنفاق في الخير	٧١
الحث على الصدقة	٧٧

فضل الصيام	٨٥
فضل ذكر الله تعالى	٩٥
فضل القرآن على سائر الكلام	١٠٥
فضل الصلاة والتسليم على النبي ﷺ	١٠٧
صلة الرحم	١١٥
مَنْ يحبهم الله ﷻ	١٢٥

منافذ بيع

الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم
١١٩٤كورنيش النيل - رملة بولاق
مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب
القاهرة
ت: ٢٥٧٧٥٠٠٠ ـ ٢٥٧٧٥٢٢٨
٢٥٧٧٥١٠٩ داخلى ١٩٤

مكتبة مركز الكتاب الدولى
٣٠ش ٢٦ يوليو ـ القاهرة
ت: ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو
١٩ ش ٢٦ يوليو ـ القاهرة
ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف
٣٦ش شريف ـ القاهرة
ت: ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى
٥ ميدان عرابى ـ التوفيقية ـ القاهرة
ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين
مدخل ٢ الباب الأخضر ـ الحسين ـ القاهرة
ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة المبتديان
١٣ش المبتديان ـ السيدة زينب
أمام دار الهلال ـ القاهرة

مكتبة ١٥ مايو
مدينة ١٥ مايو ـ حلوان خلف مبنى الجهاز

مكتبة الجيزة
١ ش مراد ـ ميدان الجيزة ـ الجيزة
ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة
خلف كلية الإعلام ـ بالحرم الجامعى
بالجامعة ـ الجيزة

مكتبة رادوبيس
ش الهرم ـ محطة المساحة ـ الجيزة
مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون
ش جمال الدين الأفغانى من شارع محطة
المساحة ـ الهرم
مبنى أكاديمية الفنون ـ الجيزة

مكتبة ساقية عبدالمنعم الصاوى
الزمالك ـ نهاية ش ٢٦ يوليو
من أبو الفدا ـ القاهرة

مكتبة الإسماعيلية
التمليك ــ المرحلة الخامسة ــ عمارة ٦
مدخل (أ) – الإسماعيلية
ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس
مبنى الملحق الإدارى ــ بكلية الزراعة
ــ الجامعة الجديدة ــ الإسماعيلية
ت : ٠٦٤/٣٣٨٢٠٧٨

مكتبة بورفؤاد
بجوار مدخل الجامعة
ناصية ش ١١، ١٤ ــ بورسعيد

مكتبة أسوان
السوق السياحى ــ أسوان
ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط
٦٠ش الجمهورية ــ أسيوط
ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا
١٦ ش بن خصيب ــ المنيا
ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)
مبنى كلية الآداب ــ جامعة المنيا ــ المنيا

مكتبة طنطا
ميدان الساعة ــ عمارة سينما أمير
ــ طنطا
ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى
ميدان محطة السكة الحديد
عمارة الضرائب سابقًا ــ المحلة

مكتبة دمنهور
ش عبدالسلام الشاذلى ــ دمنهور
مكتب بريد المجمع الحكومى ــ توزيع
دمنهور الجديدة

مكتبة المنصـــورة
٥ ش السكة الجديدة ــ المنصورة
ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكـتـبـة مـنـوف
مبنى كلية الهندسة الإلكترونية
جامعة منوف

توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية
مكتبة طلعت سلامة للصحافة
والإعلام
ميدان التحرير ــ الزقازيق
ت : ٠٥٥/٢٣٦٢٧١٠
ت: ٠١٠٠٦٥٣٣٧٣٣٢

الهيئة المصرية العامة للكتاب

المشرف على المشروعات الثقافية

مروان حماد

متابعة

فريال فؤاد

المراجعة اللغوية

د.حسن أحمد خليل

سيد عبد المنعم

الإخراج الفني

أحمد طه محمود

رقم الإيداع بدار الكتب ١٦١٩٧/ ٢٠٢٢

ISBN 978-977-91-3813-8